

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الرحمان ميرة - بجاية -

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الصراع الطبقي في رواية يوتوبيا

لأحمد خالد توفيق، "دراسة اجتماعية"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص أدب عربي حديث ومعاصر

تحت إشراف:

د. يوسف رحيم

إعداد الطلبة:

- جرموني إيمان

- بوزاد كاتية

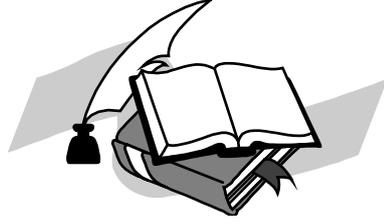
السنة الجامعية: 2019 / 2020

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

صَدَقَ اللّٰهُ الْعَظِیْمُ

إهداء



أهدي هذه الثمرة إلى قرة عيني أبي الغالي
جنة دنيائي أمي الغالية اللذان كانا مصدر
نجاحي - أدامهم الله لنا -
أهديه إلى أجمل هدايا الرحمن أخواتي.
إلى أخي الوحيد حفظه الله لنا.
إلى صغار أختي الكبيرة: مريم - زكريا - يونس.
إلى كل الأصدقاء، ومن كان برفقتي طوال مشواري
الدراسي.
أهدي هذا العمل إلى أهلي وأحبتي بصفة عامة.

✍️ إيمان

إهداء



بسم الله الرحمن الرحيم، الصلاة والسلام على أشرف
المرسلين وبعد

أهدي ثمرة جهدي المتواضع إلى من تهديني
بالتربية في الصغر وكان نبراسا يضيء فكري بالنصح
والتوجيه أبي أطال الله في عمره إلى الوردة التي فاح
شذى حبها في المنزل والشمعة التي أضاءت دروبي أُمي
الغالية حفظها الله.

إلى من شملوني بالعطف وأمدوني بالعون وحفزوني
في التقدم إخوتي رعاهم الله وإلى أختي التي كانت
أجمل نعمة على وجه الأرض لم تبخل عليا بالنصح.
أوجه شكر خاص إلى الذي علمنا كيف نخطو نحو
النجاح وفي سبيل تحصيل العلم والمعرفة أستاذنا
الكريم رحيم يوسف.

وإلى جميع أساتذتي الذين غمروني بالتقدير
والنصيحة والإرشاد وإلى كل من نسيته أقلامنا ولم
تنسأه قلوبنا، آملين من الله تعالى أن يوفقنا في
حياتنا.

كاتبة



الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات نحمده حمدا كثيرا ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

الحمد والشكر لله الذي أعاننا على إنجاز هذا العمل.

بعد شكر الله تعالى على توفيقه لنا لإتمام هذا البحث المتواضع أتقدم بجزيل الشكر للأستاذ المشرف يوسف رحيم على حسن تعاونه وتوجيهاته ونصائحه جزاه الله خيرا.

كما أوجه الشكر والامتنان إلى الذين أعانونا على الاستمرار في مسيرة العلم والنجاح وإكمال الدراسة الجامعية.

كما أتوجه بخالص شكري إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد في إنجاز وإتمام هذا العمل.

ونتقدم بالشكر إلى كل الأساتذة الذين أشرفوا على تكويننا طيلة المشوار الدراسي.

إيمان / كاتبة

مقدمة

مقدمة:

يولد الإنسان على الفطرة لاسيما أنه القوة المحركة للمجتمع، فالإنسان له قيمة جمالية ترتبط بمدى تجربته في الحياة وتحري معالم الوعي في الفكر الأدبي، فتلك اللمسة الإبداعية لدى الفرد تفتح المجال لاستكشاف رؤى جديدة، وكذا البحث في حيثيات التاريخ الأدبي، والمجتمع بدوره يتألف من طبقات معينة، وهذا ما شكل جدلا في مختلف الأدبيات الفكرية والاجتماعية العربية والذي تمحور في التفاوت الاجتماعي أو ما نسميه الصراع الطبقي.

لقد شكلت مسألة الصراع الطبقي تناقضا كبيرا بين النقاد ودارسي علم الاجتماع، إذ أن صراع الطبقات عبارة عن محرك للتغيرات الاجتماعية والتاريخ العربي، كما أنه مفهوم رئيسي في الفلسفة السياسية الماركسية تسعى لعدول الرأي والقضايا التاريخية والتوترات الاقتصادية داخل المجتمع.

بمعنى خاص لقد إستظهر كل من كارل ماركس وانجلز أن الطبقة الحاكمة في المجتمع الرأسمالي هي البرجوازية فهي تسيطر على الطبقة العاملة، وكذا الوضع الاجتماعي، فالصراع الطبقي في المجتمع الرأسمالي عامل جوهري لتطور القوة المنتجة في الحياة السياسية في المجتمع الطبقي، فهذا الأخير يولد التقدم الاجتماعي وبمثابة القوة المسيطرة للطبقات الرأسمالية، ودراسة تاريخ المجتمعات البشرية يستدعي الغوص في ماهية الحقيقة والقدرة على التغلب على قضية الصراع الطبقي، كنموذج حي يحاكي المعاناة والقهر والحرمان الذي يلحق بالطبقة العاملة، ولقد تجسدت الظاهرة الصراعية في رواية يوتوبيا.

تحتل رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق مكانة مرموقة في فضاء الأدب وتعتبر مرآة عاكسة لحياة الإنسان، فهي تعبر عن مشاكل وهموم وواقع المجتمع المصري، تصنف ضمن الروايات الاجتماعية العربية الأصلية حاملة في ثناياها مختلف القضايا التي يواجهها المجتمع البشري، وتبرز هذه الرواية مختلف الفروقات والمتغيرات التي ستؤول إليها مصر في زمن 2023، وتظهر مدى تأثير الصراع في تكوين العلاقات الاجتماعية وظف الروائي

أحمد خالد توفيق الأسلوب الجمالي الراقي ويغلب عليه الطابع السردى الاجتماعى وهى شديدة التأثير والتأثر، وقد مزج الروائى بين الحقيقة والخيال، كل فرع من فروع هذه الرواية تصف معاناة الأغيار بسبب سيطرة يوتوبيا عليهم.

وفى هذا الصدد يمكن طرح عدة تساؤلات وإشكاليات قصد الوصول إلى حقيقة الصراع الطبقي، وأهم هذه الإشكاليات الحاصلة فى هذا الموضوع نجد:

- إلى أى مدى استطاعت رواية يوتوبيا تجسيد ظاهرة الصراع الطبقي؟

- وهل يمكن أن تكون الحياة فى مصر كما كان مجسدا فى ثنايا هذه الرواية؟.

وقد اخترنا الموضوع لأسباب ذاتية تتمحور حول الرغبة الملحة فى الكشف عن خبايا المجتمع البشرى فى ظل الصراع، وكذا الميل إلى هذا النوع من المواضيع الاجتماعية وإبراز جوانبها وطبيعتها الأدبية، وموضوع الصراع الطبقي من المواضيع الحساسة التى تمس الكيان الإنسانى، وكذا الإطلاع على الرواية كونها تكشف عن اختلاف الاتجاهات الفكرية والإيديولوجية، وكذا اختلاف النظرة فى المجتمع، ومواجهة مختلف التجارب، وكذا هيمنة وسيطرة الظروف الاجتماعية الصعبة على الرواية، وخلق التفاوت الطبقي بين الشعبين، ولعل النقطة التى شدت أنظارنا هو عنوان الرواية وما يحمل فى طياته من تساؤلات نحاول اكتشافها من خلال دراستنا.

اعتمدنا فى تحليلنا للرواية على المنهج الاجتماعى كون أن جذوره هى امتداد للعلاقة بين الأدب والمجتمع، إذ كان الأدب انعكاسا للواقع الاجتماعى، فكذا صورة الأدب تتغير بتغير صورة المجتمع، وكذا المنهج يختص بدراسة الظروف الاجتماعية التى تلحق بالمجتمعات، فالمجتمع بدوره يؤثر فى الفن من خلال المشاكل التى تحفز الفنان على الخلق والإبداع، ورواية يوتوبيا تعبر عن طبيعة اجتماعية وتعالج قضية الواقع المصرى عام 2023 وتصور لنا معاناة الأغيار من فقر وبطالة وقهر والرفاهية فى يوتوبيا.

اعتمدنا لإثراء دراستنا على مجموعة من المراجع التي كانت المنطلق والأساس في بحثنا حول الموضوع نذكر:

- سوسيلوجيا الأدب، روبيرت إسكارييت.
- علم الاجتماع، أنتوني غدنز.
- النقد الروائي والإيديولوجيا، حميد الحمداني.

ولتحليل هذا البحث قمنا برسم خطة وفق المنهج الاجتماعي والتي تتمحور حول مدخل وفصلين وخاتمة.

تطرقنا في المدخل إلى الحديث عن واقعية الرواية العربية انطلاقاً من نشأة الرواية وتبيان مكانتها في الساحة الأدبية، وكذا تطورها لدى العرب والغرب وقد ذكرنا أهم الكتاب الذين تابعوا قضية الصراع الطبقي من أهمهم كارل ماركس وجورج لوكاتش وغيرهم من الذين أبدعوا في مسيرتهم الأدبية.

أما الفصل الأول تناولنا فيه الأدب كتجربة واقعية، واختلاف وجهات النظر حوله كون الأدب يتغير بتغير واقع المجتمعات، وقد أدرجنا نظرتنا حول نظرية الانعكاس كونها تهتم بالعلاقات المتبادلة بين المجتمع والأدب، وكذا المنهج الاجتماعي الذي يقوم بفهم المجتمع ودراسته وفق منظومة أدبية، وخصصنا مساحة لذكر الرواية كإيديولوجيا استناداً على إلقاء الضوء على قضية علاقة الإيديولوجيا بالرواية، فهي تعبر عن موقف الكاتب، فالإيديولوجيات داخل الرواية لا تلعب دوراً شخصياً ذات طبيعة جمالية، وكذا قمنا بدراسة الرواية والمجتمع وكذا تجسيد ظاهرة الصراع داخل المجتمعات.

أما الفصل الثاني تناولنا فيه تحليل رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق وفق منهج اجتماعي بدأناه بلمحة حول نبذة عن الروائي ومحتوى الرواية وأهم حيثيات صراع الأفكار

والشخصيات المجسدة في الرواية ومدى المعاناة والقهر الذي يعبر عن الواقع المرير ومحاولة تبيان التفاوت في هذه الرواية.

وفي الأخير لخصنا معظم النتائج في الخاتمة وبعض الاقتراحات التي تتماشى مع ما جاء في المذكرة.

ولقد لقينا في مسيرتنا الكثير من الصعوبات واستحضر المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع ولكن لم تكن السبب في إعاقة مواصلة بحثنا وبفضل الله وعونه وكذا المشرف الذي أمدنا بنصائحه استطعنا التوصل إلى هذا المنجز النقدي.

مدخل

الصراع الطبقي بين الواقع
العربي والنظريات الغربية

لقد عمّ تاريخ البشرية مختلف الفنون الأدبية التي شكلت تناقضات وفرضيات واسعة بين الباحثين، بداية بالشعر باعتباره تجربة نفسية لما يجول في فكر الشاعر إلى تفتح شاعرية الرواية العربية على نسمات الواقع العربي، وهذا النوع من الفن يستدعي الغوص في الأعماق قصد اكتشاف ماهية الواقع، ولقد استطاع الأدباء تكوين تلك الصور التي يلتصقها الغموض والالتباس كرواية نجمة، وأبوا إلى الدعوة إلى ضرورة سد الثغرات في العمل الأدبي.

تعددت التعاريف والمفاهيم حول الفن الروائي فمنهم من اعتبر الرواية "هي الشكل الأدبي الأكثر دلالة في المجتمع البورجوازي وهناك لا شك أن آثار أدبية يعود تاريخها إلى العصور القديمة وإلى العصر الوسيط، غير أن الخصائص التي تعنى بالرواية وحدها وترتبط بها لم تبدأ بالظهور إلا بعد أن صارت الرواية الشكل الذي يعبر عن المجتمع البرجوازي"⁽¹⁾، بمعنى أن الرواية في هذا المجال تحاكي خلفيات المجتمع البرجوازي.

يقر هيجل أن الرواية "عبارة عن ملحمة برجوازية تطرح في آن واحد المسألة الجمالية والتاريخية، فهو يعتبر الرواية شكلا فنيا بديلا للملحمة في إطار التطور البرجوازي، ذلك أن الرواية تتطوي على الخصائص الجمالية العامة للقصة الملحمية الكبيرة وللملحمة من جهة"⁽²⁾.

صاغ غوته التعرض بين الرواية والدراما على الشكل التالي: "يتعلق الأمر في الرواية على وجه الخصوص في إبراز حالات العقل والأحداث، فيما يختص الأمر في الدراما بتقديم الطبائع والأعمال، وينبغي على الرواية أن تتقدم ببطء وأن تعمل عواطف البطل الرئيسي على إبطاء مسيرة الكل نحو النتيجة...، ينبغي على بطل الرواية أن يكون سلبيا فهي ضرورية على عكس الدراما، فالبطل الفاعل يدفع بأحد التناقضات في المجتمع إلى أقصى

¹ _ جورج لوكتاش، نظرية الرواية وتطورها، تر: نزيه الشوقي، 1987، ص 15.

² _ المرجع نفسه، ص 19.

حد".⁽¹⁾ بمعنى أن الرواية هي سلسلة من الأحداث تضم الكثير من الشخصيات تختلف انفعالاتها، أمّا الدراما فهي عبارة عن أدب المفارقات الذي يكون فيه مقدمات تخالف النهايات ويجتاز المشاهد لشخوص وأداء الممثلين".

ولدت الرواية الحديثة بمضامينها من الصراعات الإيديولوجية البرجوازية صاعدة على أنقاض الإقطاعية المنهارة، من أعظم مؤسسي الرواية الحديثة نذكر **رابليه** و**سرفانتس** وقد أكد **هايني** هذا العمل بقوله: "لقد خلق **سرفانتس** الرواية الحديثة لإدخاله الوصف الصادق للطبقات الدنيا في رواية الفروسية، وضمنها حياة الشعب"⁽²⁾، ترجع أصول الرواية الحديثة حسب **سرفانتس** إلى التعبير عن الطبقات الاجتماعية.

تعتبر الرواية صورة تعكس الواقع الذي يعيشه الإنسان، وتجسدت معالم الفن الروائي في رواية **زينب لمحمد حسين هيكل**: "فقد اعتبرها النقاد أول رواية في تاريخ الأدب العربي، وقد أكد على ذلك **عبد المحسن طه بدر** في كتابه القيم حول تطور الرواية العربية كما أكد عليها كتاب آخرون، فقد كتبها نتيجة تأثره بالفكر الغربي وكذا تأثر **هيكل** بالكتاب العرب الذين كانوا يسيرون في نفس الأفق الحدائي أمثال **قاسم أمين والكواكبي وعلي عبد الرزاق** وغيرهم"⁽³⁾، بمعنى أن هذه الرواية كانت بمثابة نقله ونوعية، فرغم بساطتها إلا أنها أحدثت نجاحا باهرا كونها تعبر عن وقائع مصرية كتجربة فنية انفردت بجودتها بين مختلف الروايات الأخرى.

ترى **يمنى العيد** "أنّ منح الرواية العربية في بدايتها الأولى مع جيل التنوير من تقنيات المنجز العربي لم يسيح جهودها في دائرة التقليد الأعمى والمحاكاة الحرفية، كما أن

¹ _ جورج لوكاتش، نظرية الرواية وتطورها، ص 26.

² _ المرجع نفسه، ص 43-44.

³ _ عبد المجيد الحسيب، الرواية العربية الجديدة وإشكالية اللغة، إريد، الأردن، 2014، ص 24.

الهامشي الذي استدعته الرواية العربية في تطورها هو بمثابة بديل منتج لتنوع لغوي حوارى معرفي افتقرت إليه الثقافة العربية بسبب تجدر ما هو تقليدي في سيرورتها التاريخية⁽¹⁾.

واقعية الرواية العربية الحديثة وتطورها لدى الغرب:

هناك من الأدباء الذين يرجعون نشأة الرواية إلى التأثر بالغرب ومن أنصار هذا الاتجاه في النقد العربي المعاصر، صبري حافظ الذي أعلن في كتابه تكوين الخطاب السردى العربى دراسة فى سوسىولوجيا الأدب العربى الحديث "أن نشأة السردية العربية وليدة بروز حساسية فنية جديدة عند جمهور جديد ضاق بالمرويات الشفوية والأساليب النشرية الكتابية التي كانت سائدة فى القرن التاسع عشر"⁽²⁾.

لقد عمد فرح أنطوان فى مسيرته على سلطة القلم، فكانت الكتابة السردية هى الطريق الأفضل والأنجع قصد ربط الإنسان بالواقع والتاريخ، فقد استطاع أن يعكس وجهة نظره، ويرى أن الرواية هى بمثابة وعى للتاريخ ولم تتشكل كجنس أدبى مستقل بذاته، وهى انطلاقة جوهرية بعد كل التحولات والتصورات التي طرأت فى مضمارها الفنى، وقد ربط ظهور الرواية بظهور الوعي التاريخى الذى يجعل الإنسان يقارن بين الماضى والحاضر ومن رواياته المدن الثلاث، سياحة فى أرز لبنان، فتح العرب بين المقدس، وتندرج هذه الروايات تحت عنوان الأدب الهادف⁽³⁾.

¹ - أحمد الجرطى، الرواية العربية والمتخيل: البنية الفنية للناقدة يمنى العيد (نحو رؤية جديدة لسياق التكوين وآفاق الممارسة النقدية، مجلة تبين، العدد 14، خريف 2015، ص 153.

² - المرجع نفسه، ص 150.

³ - فيصل الدراج، الواقع والمثال مساهمة فى علاقات الأدب والسياسة، ط1، دار الفكر الجديد، بيروت، لبنان، 1989، ص 141-142.

لقد أحدث نجيب محفوظ تغييرا جذريا في مساره الأدبي والإبداعي، فقد استلهم معظم روايته من الواقع، فهو يضاهي قدرة ألف أديب فنجدته يجدد في طرائق كتاباته السردية، ومن بين هذه الروايات نجد: **خان الخليلي**، القاهرة الجديدة، زقاق المدق، بداية ونهاية، ولقد صور هذا الأخير واقعه المرير من مستعمر وحروب ونهب وبطش وحرمان الذي فتك معظم شعوب العالم ليرصد حيثياته انطلاقا من الوطن العربي ككل، ما يميز روايته هو ذلك الطابع الفني الذي نلتمس فيه تلك المعاناة⁽¹⁾.

نرى أن الجيل الجديد اتخذ لنفسه تقنيات جديدة قصد التغيير في العمل الفني الروائي رغم انفتاحهم على أوضاع سيئة كالفساد والامية والهجرة إلى مواطن مختلفة بحثا عن العمل، وكل هذه العوامل كانت بمثابة نقطة تحول، حيث وصلت ذروة الرواية إلى الدرجة القصوى من التطور والتعدد في حيثيات هذا الفن⁽²⁾.

يقول صبري حافظ "والتعددية هي إحدى الأجوبة التي تطرحها الكتابة الجديدة على الواقع المتأزم، الذي وجدت فيه الكتابة نفسها إزاء تغيرات الواقع الصادمة، خاصة وأن التعددية تتيح للمهمشين الذين عانوا من قبل الإهمال وضعا مأساويا لذلك الوضع الذي سيتأثر به من هم في الصدارة ومركز الاهتمام"⁽³⁾، كل فن يسعى إلى السطو على الفنون الأخرى، فالأدباء بدورهم يسعون إلى التركيز على هدفهم قصد احتلال الكتابة السردية الروائية الصدارة بين الأجناس الأدبية ككل.

لقد عرفت الرواية العربية تطورا باهرا إثر احتكاك المجتمع العربي بالثقافة الغربية والتأثر بفن الرواية الغربية ومن المحاولات الروائية التي ساهمت في تفعيل هذا الفن: رواية عودة الروح لتوفيق الحكيم، وكذا رواية أخرى بعنوان عصفور الشرق تعالج قضية العلاقة

¹ _ ينظر عبد المجيد الحسيب، الرواية العربية الجديدة وإشكالية الرواية، المرجع السابق، ص 25-26.

² _ ينظر المرجع نفسه، ص 32.

³ _ المرجع نفسه، ص 32.

بين الشرق والغرب، وبوميّات نائب الأرياف، أمّا عباس محمود العقاد سجل بأنامله الذهبية رواية سارة (1).

لقد أنكر سعيد يقطين في كتابه قضايا الرواية العربية الجديدة "الوجود والحدود" أن يكون لفن الرواية جذور في التراث السردي العربي القديم، مشدداً على أنّ الرواية فن غربي حديث، وامتدادها على الثقافة العربية ثم بفضل جمل من الوسائط الغربية كالطباعة والترجمة بشكل أبرز الصحافة (2).

كما يذهب الناقد العراقي عبد الله إبراهيم في كتابه البارز "السردية العربية الحديثة، تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفسير النشأة: "إلى أنّ التنظيرات القائلة بأن ميلاد الرواية العربية هو حصيلة التأثير بالثقافة الغربية، وإنّما تكتشف عن تضاعفها عن خضوع لمصادر الخطاب الاستعماري، مشدداً في الوقت ذاته أنّ ظهور الرواية العربية في منتصف القرن التاسع عشر هو وليد تحلل المرويّات السردية الشفوية وتفككها" (3)، بمعنى أن ظهور أوصل الرواية العربية مرهون بالتأثير بالثقافة الغربية.

كما يذهب المفكر الغربي عبد الله العروي في كتابه "الإيديولوجية العربية المعاصرة" باعتبار أن استنباط الشكل الروائي لديه محاكاة حرفية للشكل الروائي الغربي البرجوازي، غافلة عمّا يختزنه من حمولات فلسفية من جهة ومشروطيته من جهة أخرى بسياقات تاريخية محددة تقف وراء تجديد شخصياته الروائية، ويرى أن العروي أن المحاولات الروائية تتورط في السطحية والإجتراء والإفتعال الفني (4).

1 _ ينظر، المرجع نفسه، ص 25-26.

2 _ أحمد الجرطي، الرواية العربية والمتخيل، البنية الفنية للناقدة يمنى العيد، المرجع السابق ص 151.

3 _ المرجع نفسه، ص 151.

4 _ المرجع نفسه، ص 151.

1- الصراع الطبقي وأهم رواده:

لقد شغل موضوع الصراع الطبقي أو المعروف بالصراع الاجتماعي حيزا كبيرا في مجال البحث والنقاش بين المفكرين والمذاهب الفكرية قديما وحديثا فقد تعددت التفسيرات حول طبيعته، إذ أنّ هذا الأخير استحوذ على مساحة واسعة من المجتمعات العربية، فلقد اشتد النزاع والصراع في أغلب مناطق العالم، فعلى السلطة أو أمور أخرى أن تنزاح إلى مرجع آخر، فالإنسان بدوره يسعى إلى الغوص في الأعماق قصد تحقيق طموحه وملذاته.

إذ تحدثنا عن الصراع الطبقي فنحن نتحدث عن الصراع الاجتماعي بمعنى أنّ لهما مدلول واحد، فكّلهما يعبران عن وضع وحالة المجتمعات الإنسانية، "إذ لا يكاد يخلو أي مجتمع اليوم أو فيما مضى من وجود صراع بداخله، مهما كان نوع وطبيعة وحجم ذلك الصراع، فالصراع أصبح صفة ملازمة للحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وهذا الأخير يشير إلى العملية الاجتماعية التي تنشأ بين طرفين يوجد بينهما تعارض في المصالح والأهداف، يسعى كلّ منهم لتحقيق مصالحه وأهدافه مستخدما كافة الوسائل والأساليب سواء أكانت مشروعة أو غير مشروعة أو يعترف بها أحد الأطراف أو عدمه"⁽¹⁾، نشير إلى أنّ الصراع الطبقي يتأثر بمجموعة من العوامل السياسية والاقتصادية والتطورات كما يؤثر فيها، فالحقيقة أن الصراع لم ينشأ من فراغ، وإنما نتيجة تضارب المصالح فكل منهم يسعى وراء طموحه بجميع الوسائل ولا يستند على التفكير الأخلاقي لحل النزاع فهو لا يأبى التخلي عن حقوقه ومصالحه ويسعى جاهدا للحصول عليها.

فقد يعبر "الصراع أحيانا عن خلاف حول المبادئ المتعلقة بالتنظيم الاجتماعي وحول منظومة القيم التي يستند إليها ذلك التنظيم، فهو يعيد النظر في ذلك النظام الاجتماعي الذي يعارضه تنظيم من طراز مختلف تماما، وقد يعارض الصراع المحدود أحيانا بين مصالح

¹ _ زيات فيصل، مختار ديدوش، نظرية الصراع من منطلق كارل ماركس إلى منطلق رالف داهرنودوف، مجلة دراسات في علوم الإنسان والمجتمع، جامعة جيجل، مجلد 02، عدد1 مارس 2019، ص 382.

طبقتين تسعى كل منهما إلى إحراز مكاسب أوسع ضمن إطار البنية الاجتماعية القائمة التي لا تطرح مبدئياً أمر تغييرها"⁽¹⁾.

فقد أتاح "ظهور التنظيمات الطبقية والأحزاب والنقابات التي أمنت قواعدها من طبقة اجتماعية معينة الصراعات لأنها منحت في الوقت ذاته تلك الطبقة إمكانيات التعبير وأدوات العمل، وعلى العكس من ذلك تناقضت الصراعات الطبقية في الحدود التي زادت بها قابلية التحرك الاجتماعي أي في الحدود التي خفت بها الانقسامات الطبقية، ومن المعقول أن الصراعات تتضاءل حدة كلما كانت قابلية التحرك الاجتماعي أكبر أو بصورة أدق، ينمو اعتقاد الجمهور بوجود احتمالات للصعود الاجتماعي، وعلى الصعيد نفسه تسهم ثقة الناس في تكافؤ الفرص، وفي إقلال أهمية الصراعات الطبقية وذلك في بلاد مختلفة كالولايات المتحدة والإتحاد السوفياتي"⁽²⁾.

ففي كثير من البلدان يبدو التركيز على القومية في الحقيقة بمثابة نقل الصراع الطبقي من الصعيد الداخلي إلى الصعيد الدولي، ومن العداة بين الأفراد والأسر الفقيرة والغنية إلى العداة بين بلدان فقيرة وأخرى غنية، ومن التعارض بين طبقات الأفراد أو الأسر إلى التعارض بين البلاد والأمم، ولا تختلف تلك الصراعات التي تستوحي من مشاعر واحدة، عن بعضها البعض اختلافاً أساسياً⁽³⁾.

لقد أثار مفهوم الطبقات الاجتماعية جدلاً واسعاً بين الدارسين والباحثين لعلم الاجتماع، حيث طرح كارل ماركس في كتابه بعنوان "رأس المال" سؤالاً جوهرياً "ما الذي يكون الطبقة" والطبقة بالنسبة لماركس هي "جماعة من الناس تتماثل في علاقتها بوسائل الإنتاج، أي الطرق التي يكسبون بها رزقهم، فقبل قيام الصناعة الحديثة كانت وسيلة تتمثل أساساً في

¹ _ بيار لاروك، الطبقات الاجتماعية، تر: جوزاف عبود كبد، ط1، بيروت، باريس، 1973، ص 48.

² _ المرجع السابق، ص 49.

³ _ بيار لاروك، الطبقات الاجتماعية، المرجع السابق، ص 51.

الأرض والمعدات المستخدمة للعناية بالمحاصيل، ويرى ماركس أنّ العلاقة بين الطبقات في جوهرها استغلالية وتتمثل في انتقال المنتجات بصورة مباشرة من الفلاحين إلى الأرسقراطيين، واستمر الاستغلال في المجتمعات الرأسمالية الحديثة رغم أنّ أصوله لم تعد واضحة مثلما كانت في الماضي⁽¹⁾، تناول ماركس في هذا المجال حيثيات الطبقة واقتربها بالأشخاص في عملية تنظيم الإنتاج، وهو بدوره يهدئ الأوضاع لوجود الطبقة الاجتماعية.

ونظرا للصراع الطبقي الذي كان يلتسه ماركس في مجتمعه الذي كان يطفو فوق عقولهم، "فقد كان ماركس وإنجلز يوضحان الصراع الطبقي من خلال تطور البرجوازية، ويوضحانه كذلك من خلال تطور البروليتاريا، فقد محاولات ارتباط العمال المبكرة في شكل اتحادات عمالية تدافع عن المصالح المشتركة بينهم"⁽²⁾.

2- نظرية كارل ماركس للصراع الطبقي:

اختلفت الآراء ووجهات النظر حول طبيعة الصراع الطبقي "إذ تعتبر نظرية ماركس حول الصراع من بين أكثر النظريات التي حظيت لاهتمام كبير من قبل المفكرين والعلماء، نظرا للتفسيرات والتحليلات العلمية التي قدمتها حول ظاهرة الصراع والتناقض الحاصل داخل المجتمع الرأس المالي نتيجة التعارض في المصالح والأهداف بين الطبقة العمالية والطبقة البرجوازية، فكان التحول والانتقال من صراع الأفكار إلى صراع الطبقات الاجتماعية"⁽³⁾ تجسد الصراع عند ماركس في المقارنة بين الطبقات الراقية من رجال أعمال وسياسيين الذي لهم مكانة في المجتمع وبين الطبقة العاملة العادية التي تمثل عامة الشعب.

¹ - أنتوني غدنز، علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)، بمساعدة كارين بيرسال، تر: د.فايز الصباغ، ط4، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005، ص 347.

² - بيار لاروك، الطبقات الاجتماعية، المرجع السابق، ص 51.

³ - زيات فيصل، مختار ديدوش، نظرية الصراع من منطق كارل ماركس إلى منطق رالف داهرندوف، المرجع السابق، ص 285.

لقد تحدث **ماركس** كثيرا عن النظرية الصراعية إذ يرى "أنّ المجتمع يتكون من طبقات تسودها اللامساواة والتفاوت في أصولها واستغلالها للموارد، ويؤدي هذا التفاوت والإجحاف المستمران إلى تجذر تقسيم المصالح وترسيخها بحيث تصبح جزءا لا يتجزأ من النسق المجتمع العام"⁽¹⁾، لقد تعددت المصالح في ظل ترسيخ مبادئ الصراع الذي يحدد ذلك التغيير المجتمعي.

يرى **ماركس** أنّ الرأسمالية "تشكل بطبيعتها نظاما طبقيًا تتميز فيه العلاقات الطبقيّة بالصراع، رغم أنّ الرأسمالية والعمال يعتمد كل منهما على الآخر، لأنّ الرأسماليين يحتاجون إلى قوة العمل والعمال يحتاجون إلى الأجر، فإنّ هذه المعادلة تعاني خلافا فادحا، فالعلاقات الاجتماعية الطبقيّة في هذه الحالة تتميز بالاستغلال، لأنّ العمال لا يتمتعون بأي قدر من السيطرة على عملهم في الوقت الذي يقوم فيه أرباب العمل بجني الربح عن طريق تملكهم حصيلة العمل"⁽²⁾، باعتبار الرأسمالية هي السلطة الحاكمة فهي تقوم بفرض هيمنتها على الطبقة العاملة وهذا الذي يحيل إلى إبراز الفرق الطبقي بين هاتين الفصيلتين.

ويقول **ماركس** في موضع آخر "أنّ التاريخ البشري برّمته حتى الآن هو تاريخ الصراعات بين الطبقات"⁽³⁾، بمعنى أن الكائن البشري بوجه خاص مرهون بتتبع النظام السائد رغم أنّه لا يخلو من التمييز الطبقي.

لقد ترك **كارل ماركس** بصمته الذهبية في ثنايا التراث الفكري السائد، فقد عبر عن الصراع الطبقي بطريقة مستلهمة من ذلك الواقع المرير، فإذا كانت الطبقة الحاكمة بشر والطبقة العاملة بشر، فلماذا هذا التمييز في زمن تعاليه الطبقيّة؟، فالحاكم له رأي وسلطة والعامل أسير محكوم عليه بالإعدام، فإلى متى سيظل الصراع الطبقي مستمرا؟.

¹ _ أنتوني غدنز، علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)، المرجع السابق، ص 705.

² _ المرجع نفسه، ص 69.

³ _ المرجع نفسه، ص نفسها.

نظرا لتأثر **ماكس فيبر** بكارل **ماركس** إلا أنه انتقد بعض مفاهيمه حيث "اعتبر أنّ للصراع أهمية أقل مما رآه **ماركس**، فالعوامل الاقتصادية لديه مهمة ويرى أنّ الدوافع والأفكار البشرية هي التي تقف وراء التغيير الاجتماعي"⁽¹⁾.

3- نظرة فيبر للصراع الطبقي:

فيبر شأنه شأن **ماركس** يرى أنّ "المجتمع يتميز بالصراع من أجل القوة والموارد، وقد طرح تصورا مركسيا متعدد الأبعاد للمجتمع والتراتب الاجتماعي في نظره لا يقتصر على الوضع الطبقي فحسب بل يسهم في تشكيله وصياغته اعتبارات أخرى هما "المكانة والحزب" وتتضافر هذه العناصر لخلق المواقف المحتللة في المجتمع"⁽²⁾. بمعنى أنّ **فيبر** يرى المجتمع البشري يعمه الصراع حول المكانة والسلطة وفرض الهيمنة.

يرى **فيبر** كذلك أنّ المكانة تتغير بمعزل عن الأوضاع الطبقيّة "فمفهوم المكانة في نظره تعود إلى اختلاف مواقع الفئات الاجتماعية ومراتبها من حيث ما يسميه الاحترام الاجتماعي أو الواجهة في عيون الآخرين، وأصبحت هذه الصفة تطلق على الناس بناء على أسلوب الحياة التي يعيشونها"⁽³⁾، ومن هذه الناحية يمكن القول أنّ **فيبر** يتفق مع **ماركس** فإنّ الصراع مرهون بالأوضاع الاقتصادية السائدة في المجتمع.

لقد تأثر **رالف داهر ندوف** كثيرا بالأفكار والمبادئ التي جاء بها **ماركس** "لاسيما موضوع الطبقات والصراع الطبقي، إلا أنه يرى أنّ الصراع ليس محصورا بين العمال ومالكي الإنتاج فقط، وإنما هناك أنواع أخرى من الصراع من بينها الذي يحدث بين ذوي

¹ _ المرجع نفسه، ص 70.

² _ أنتوني غدنز، علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)، المرجع السابق، ص 348.

³ _ المرجع نفسه، ص 344.

البشرة السوداء، وأيضاً بين الآباء والأبناء داخل الأسرة، وبين المدرسين والطلاب في المدارس والجامعات"⁽¹⁾.

نستنتج مما سبق أنّ كارل ماركس يرى أنّ الصراع الطبقي صراع بين من يملكون وسائل الإنتاج ومن لا يملكونها، إلا أنّ نظرية رالف تختلف حيث يعتبر أنّ الصراع متعلق بالسياسة وذوي النفوذ وحلقات متواصلة بين الطبقات والأفراد.

4- نظرة بورديو للصراع الطبقي:

قام عالم الاجتماع الفرنسي بيار بورديو بدراسة الواقع الطبقي في المجتمعات "وقد ركز على ما يسمى رأس المال الثقافي والاقتصادي، فالأفراد وفق هذا المفهوم لا يتميزون بعضهم عن بعض على أساس العوامل الاقتصادية والمهنية فحسب بل يتباينون من حيث أدواقهم الثقافية، ويحفزهم على ذلك المؤسسات التجارية المتزايدة المستعدة على الدوام لتلبية الاحتياجات من السلع والخدمات مهما كان نوعها، كما أسهمت في تنامي هذه المعايير الطبقيّة الجديدة -بدالاتها الفعلية أو الرمزية- غلبت النزعة الاستهلاكية في النظام الرأسمالي في المجتمعات الغربية"⁽²⁾.

ويرى بورديو أنّ "كل هذه الحوافز تتضافر مع النزعة الاستهلاكية العارمة في المجتمعات الغربية الحديثة وتؤدي إلى مزيد من التمايز بين أساليب الحياة وأنماط الذوق المرتبطة بالوضع الطبقي في المجتمع"⁽³⁾، كما ركز بورديو على دراسة الواقع لاعتباره صورة مطابقة للوضع الطبقي حيث ربط هذا الأخير بطبيعة الحياة وأسلوبها.

أنّ نظرية كارل مانهايم في الصراع الاجتماعي تكمن "حول التغيير الاجتماعي، فالتغيير الاجتماعي هو تحول يطرأ على البناء الاجتماعي نتيجة للصراع الذي يقع بين

¹ _ زيات فيصل، مختار ديدوش، نظرية الصراع الاجتماعي، المرجع السابق، ص 388.

² _ أنتوني غدنز، علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)، المرجع السابق، ص 359.

³ _ المرجع نفسه، ص 359.

الطبقات والأجيال أو الفئات الاجتماعية والسياسية والدينية المتصارعة فيما بينهما للوصول إلى دقة الحكم، أمّا القاعدة أو الأساس الذي تستند إليه عملية التغيير الاجتماعي فهي الفكر أو العقيدة والمنطق الذي يتناقض كلّ التناقض مع القاعدة أو الأساس المادي"⁽¹⁾، ويقصد هنا كارل مانهايم أن الصراع الطبقي متعلق بالتغيير الاجتماعي بحيث أنّ الأفراد بوسعهم أن يغيروا طبيعتهم ونمط معيشتهم وقيمهم ونماذجهم السلوكية.

إنّ محاولة دارندوف"في دراسة الصراع انطلقت من نقد مرير للوظيفية ولنظرية النسق والتوازن، بل انطلقت من نقد إلى قضية "كوزر" التي يفسر في ضوءها الصراع وظيفيا داخل النسق، فمنظوره كان ماركسي مؤداه أنّ الصراع كامن في كل النظم وهو مصدر التغيير في هذه النظم"⁽²⁾.

¹ _ عنتر صلاح التنظيمي في المؤسسة الإستشفائية، (رسالة دكتوراه، إدارة الموارد البشرية)، قسم علم الاجتماع كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، 2017-2018، ص 94.

² _ عنتر صلاح: التنظيمي في المؤسسة الإستشفائية، ص 104.

الفصل الأول

البعد الواقعي والاجتماعي لفن الرواية

1_ الأدب كتجربة واقعية

2_ الرواية كإيديولوجيا

3_ علاقة الرواية بالواقع الاجتماعي

المبحث الأول:

الأدب كتجربة واقعية:

يعد الأدب من الفنون الجميلة الذي يعكس مظاهر الحياة الاجتماعية، فهو بمختلف أجناسه الوسيلة والمرجعية والفكرية والمعرفية التي تمكننا من إدراك ودراسة العالم الواقعي بكل تفاصيله وحيثياته ضمن تصور فني من قبل المبدع الذي يتقلد دور الشاهد والمصور والحركة التاريخية والاجتماعية، فتكون له الولاية في الشهادة على ذاته ومجتمعه الذي يعيش ويحي فيه.

1_ الأدب كمؤسسة اجتماعية:

لقد مهدت الدراسات السابقة الطريق أمام ظهور منهج جديد في دراسة الظاهرة الأدبية في ارتباطها مع الأنساق الاجتماعية، هذا المنهج الذي أصبح يعرف بعلم الاجتماع الأدبي، ينظر الأدب على أنه مؤسسة اجتماعية، فقد أصبح الأدباء والقراء والناشرون والنقاد والدارسون والمهتمون والصحف والمجلات والجمعيات الأدبية والاتحادات والنوادي، يشكلون مؤسسة اجتماعية أدبية يتفاعل أصحابها وأنصارها وأعضاءها مع بعض ويتبادلون الآراء ويهتمون بهذه المؤسسة الاجتماعية.

أضف إلى ذلك أنّ الأدب يتمثل "الحياة" و"الحياة" في أسع مقاييسها حقيقة إجتماعية واقعية⁽¹⁾.

فمعنى هذا أنّ الأدب يمثل الواقع الإنساني بكل تفاصيله، فهو تجربة إنسانية والمرآة العاكسة الذي يصور آلام وآمال المجتمعات البشرية.

¹ _ شكري عزيز الماضي، في نظرية الأدب، ط1، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1993، ص 161.

وما يهنا هنا هو التركيز على علاقة علم الاجتماع بالأدب أو بصيغة أخرى الأدب كتجربة واقعية فقد ركز علم الاجتماع الأدبي إلى النظر إلى من جهة أخرى وإلى المجتمع من جهة أخرى.

فمن الناحية التاريخية تعد محاولة المفكر الإيطالي **جيا تيسنافيكو** في كتابه المشهور "مبادئ علم الاجتماع الجديد" (1725)، أول محاولة منظمة للربط بين الأدب والواقع الإجتماعي، انطلاقاً من ربط الأدب بالملاحم "ملحمة هوميروس"، بالمجتمعات العشائرية وقال بأنّ الدراما نشأت مع ظهور المدينة، أما الرواية فقد صورت المدينة وظهرت مع ظهور المطبعة والورق وانتشار التعليم... الخ⁽¹⁾.

فهذا يعني أن الرواية صورت المدينة فأصبحت الرواية فضاء المدينة بامتياز.

فنستنتج من هنا أن الأدب بمختلف أجناسه من رواية ومسرح وقصة أنّه يدرس الحياة الاجتماعية بكل وقائعه والتي يعيشها هذا المجتمع.

أما **مادام دوستال** نجدها تتقدم خطوة أخرى في مضمار الربط بين الأدب والواقع الإجتماعي وذلك في كتابها "الأدب في علاقاته في المؤسسة الإجتماعية" الذي صدر في 1800م، حيث ترى بأن كل عمل أدبي يتغلغل في بيئة إجتماعية وجغرافية ما، غير أنّ البيئة الإجتماعية لدى **دوستال** لا تتضمن العوامل السياسية والإقتصادية لأنها إهتمت بالبحث في مدى تأثير الدين والعادات والتقاليد والقوانين في الأدب ومدى تأثير الأدب في الدين والعادات والقوانين.

يتضح لنا هنا من حديث **دوستال**، التي ترى أنّ هناك إرتباط واثق بين الأدب والواقع، فالأدب على حد تعبيرها هو تمثيل للواقع البشري الذي يصدر من البيئة الإجتماعية.

كما نجد أيضاً **هيبوليت تين** فقد عمل على تطوير أفكار **دوستال** وإستفاد من تقدم الدراسات الإجتماعية وأضاف إلى عنصري الزمن الذي "قال به **فيكو**" والعامل الجغرافي

¹ _ المرجع نفسه، ص 159.

الإجتماعي" الذي قالت به دوستال" عنصر الجنس أو العرق⁽¹⁾ مكونًا بذلك ثالوثه المعروف "البيئة، الجنس، الزمن"، وهذا ما سنعرضه في نظرية الانعكاس التي ترى وتستند أن الأدب هو إنعكاس للواقع الاجتماعي.

2 - نظرية الإنعكاس:

إهتم النقاد بقضية الإنعكاس كونها تهتم بالعلاقات المتبادلة بين المجتمع والأدب، وقد ورد في رواية من روايات **حليم بركات** فيقول: "فعالم **حليم بركات** ليس مجرد بناء روائي، تخيلي، يعكس ويوازي حركة الواقع، بل حركة الواقع الفعلي تدخل في نسيج هذا العالم الروائي عبر أحداث التاريخ الواقعية، هذه الأحداث التي تشارك في نسج أحداث العالم الروائي وتكوينه مثلما هي تكون الواقع الفعلي كذلك"⁽²⁾.

نرى أن الناقد في هذا التوجه ركز على نظرية الإنعكاس، وربطها بالواقع في عملية نسج الرواية، كما أنه ينتمي إلى دائرة التاريخ داخل العالم الروائي.

توضح النظرية الإنعكاسية مختلف الرؤى والتوجهات حيث أن: "هذه الصورة لم يعد لقضية الإنعكاس مقارنة المحتوى مع الواقع أي دور في العملية النقدية، بل لا أهمية للتأويل، لا تأويل محتوياتها كما هي إعتقادًا على الإنعكاس"⁽³⁾، بمعنى أن هذه النظرية وفق مقارنة محتواها بالواقع فإنها تسلك مسلكًا مغايرًا في المضمار النقدي، وهي غير خاضعة للتأويل.

لقد اقترن ظهور نظرية الإنعكاس بظهور الفلسفة الواقعية، فقد حاول الواقعيون المزج بين الواقع والفن باستخدام مصطلح "الإنعكاس"، "حيث أن فكرة الإنعكاس تعود في الأدب

¹ _ روبرت إسكارييت: سوسولوجيا الأدب، تر: آمال عرموني، دار عويدات، بيروت، ط2، 1983، ص 90

² _ حميد الحميداني، النقد الروائي والإيديولوجيا، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، الحمراء، 1990، ص 166.

³ _ المرجع نفسه، ص 167.

إلى أصول قديمة، فقد وردت لدى أفلاطون إستعارة المرآة التي توضع أمام الطبيعة لتمثيل فكرة إنعكاس الحياة في الأدب ولكن رفضها عقب ذلك، إستخدم شكسبير إستعارة المرآة والإنعكاس في مسرحه، في "هاملت" على وجه الخصوص، وكان يوجه بذلك في الفصل الثاني نقداً ضمنياً لطريقة الممثلين في الأدب ويحثهم على واقعية التمثيل⁽¹⁾. إذا كان الأدب إنعكاس للواقع الإجتماعي، وصورته تتغير بتغير صورة المجتمع، فالإنعكاس ما هو إلا تدفق معرفي يعبر عن التصوير الحقيقي للممثل للواقع.

تعددت خلفيات التطور لمفهوم الإنعكاس الذي يسعى إلى إستكشاف الروابط القائمة بين الأدب والواقع، فقد تحدث أنتوني غدنز عن "الإنعكاسية الإجتماعية"⁽²⁾، حيث: "يثير هذا المفهوم إلى أننا نقوم إلى الدوام بالتفكير في الظروف التي تكشف حياتنا في تأملها والتمعن فيها، بما في ذلك أنماط السلوك والممارسات والأفكار التي نزاولها ونحملها في حياتنا اليومية، وتظل لدينا في جميع الأحوال القدرة على التغيير والتعديل على الصعيدين الفردي والجماعي"، ولقد تبنى هذا الأخير فكرة أنّ المتلقي مشاركاً في عملية الإبداع، وعليه أن يبدي مختلف المواقف التي تساعد في إبراز الجوانب الجمالية للأدب.

إنّ تطالب نظرية الإنعكاس الأديب بالإيمان بالفكر الإشتراكي العلمي وأن يعبر في أدبه عن قيم إنسانية أصبحت تتمثل إيديولوجياً، مثل العدالة الإجتماعية والحرية السياسية والإجتماعية والإقتصادية وحق الشعوب في تقرير مصيرها... الخ.

وبما أنّ نشأة الأدب هو إنعكاس⁽³⁾، للواقع الإجتماعي، فإنّ طبيعة هذا الأدب لا بد أن يربط بذلك الواقع الذي أنتج فيه.

¹ _ صلاح فضل، منهج الواقعية في الإبداع، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1980، ص 113.

² _ أنتوني غدنز، علم الإجتماع (مع مدخلات عربية)، بمساعدة كارين بيرسال، تر: د.فايز الصباغ، ط4، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005، ص 131.

³ _ شكري عزيز الماضي، في نظرية الأدب، ص 86.

ومن خلال إستقراء تاريخ الفنون الأدبية العالمية يرى أصحاب نظرية الانعكاس أن الكلاسيكية نتجت عن العصر الإقطاعي وأن الرومانسية ارتبطت بالثورة البورجوازية، وأن التقدم العلمي والتكنولوجي ولد المدرسة الطبيعية، وبدخول الطبقة العاملة على مسرح التاريخ ظهرت الواقعية الاشتراكية، لذلك كله فإن الأدب صورة للواقع الاجتماعي الذي أنتجه أو أنتج فيه وأن صورة الأدب تتغير بتغيير المجتمع.

نفهم من هذا إذن أنه حقيقة وفعلا أن الأدب ينبثق من المجتمعات الإنسانية، حيث يقوم هذا الأخير برسم صورة هذا الواقع وهذا ما يجعل الأدب تجربة واقعية.

3 - المنهج الإجتماعي:

يقوم المنهج الاجتماعي بمحاولة فهم المجتمع وتعقب حركته، لاسيما أن الفكر الاجتماعي هو الذي يطغى على تاريخ البشرية، فلقد انطلق باربييرس من النظرية التي ترى: " أن الأدب ظاهرة إجتماعية، وأن الأديب لا ينتج أدبا لنفسه، وإنما ينتجه لمجتمعه منذ اللحظة التي يفكر فيها بالكتابة وإلى أن يمارسها وينتهي منها"⁽¹⁾، ومن هنا نرى أن الناقد استطاع أن يمزج بين الأدب والمجتمع، كون الأديب يعبر عن تجربة واقعية تحاكي واقعه وحياته الاجتماعية.

ولقد أكدت الناقدة الفرنسية مادام دوستال رأيها بقولها: "إننا لا نستطيع فهم الأثر الأدبي وتذوقه تذوقا حقيقيا في معزل عن المعرفة والظروف الإجتماعية التي أدب إلى الإبداع"⁽²⁾، وحسب رأي الناقدة فإن الأدب مقترن بتغيير المجتمع، فالأديب يعيش في حالة من التأثير والتأثر، فالمجتمع يؤثر فيه، والأديب بدوره يؤثر على المجتمع من خلال عمليات إبداعية تفسر ماهية الواقع وعن عمق تجربته الفنية في علاقاته بالمجتمع.

¹ - حلاب نور الهدى، المنهج الاجتماعي في النقد نشأته وخصائصه، مجلة مركز دراسات الكوفة، ع38، جامعة العقيد أكلي محند أولحاج البويرة، الجزائر، 2015، ص 259.

² - المرجع نفسه، ص 260.

ولقد تجسدت في هذه المجلة بعض خصائص ومآخذ المنهج الاجتماعي تمثلت فيما يلي: "باعتباره المنهج الذي حمى النص من التلاشي والتحول إلى مجرد إضافة السلطة معرفية أخرى، وإصرارهم على رؤية الأدب على أنه يعكس الظروف الاجتماعية للأديب، التركيز على الجماعة وعدم الاهتمام بالفرد"⁽¹⁾، ولقد ناقش النقاد قضية البحث عن العلاقة بين الأدب والمجتمع، ومدى انعكاس هذا الأخير على المجتمع، فالأديب بدوره يسعى إلى الاهتمام بمجتمعه محاولاً التغيير في جذوره من منطلق الخلق والإبداع الأدبي.

المبحث الثاني:

الرواية كإيدولوجيا:

ارتبط ظهور نظرية الرواية باهتمام علم الاجتماع بالفن الروائي الذي اهتم بدوره بالواقع الاجتماعي، وكان علم الاجتماع الجدلي سابقاً إلى التأمل، وفي العالم العربي أيضاً كان ظهور الرواية الواقعية حافزاً مباشراً لظهور النقد الإيديولوجي الاجتماعي⁽²⁾.

ونظراً لأهمية النقد الاجتماعي الروائي فيما يخص إلقاء الضوء على قضية علاقة الإيديولوجيا بالرواية، فإننا نقدم هذا المبحث لمحة عن المراحل الأساسية التي مر بها تطور المنهج مع التركيز قدر الإمكان على الموضوع الأساسي في هذا المبحث الذي هو في الأساس الحديث عن الرواية كإيدولوجيا.

ارتبط ظهور المنهج الاجتماعي في الأدب أساساً بالحديث عن الرواية، ولا يهمننا هنا أن نتوسع في شرح أسباب هذا الارتباط ولكن يهمننا بالدرجة الأولى، أن نتعرف إلى نوعية هذا الارتباط كما يهمننا أيضاً أن نؤكد على الحقيقة التالية: "وهي أن نظرية الرواية لم تتبلور وتبرز إلى الوجود إلا بفضل هذا المنهج، أو على الأصح بفضل أشكاله المتعددة".

¹ - حلاب نور الهدى، المنهج الاجتماعي في النقد نشأته وخصائصه، المرجع السابق، ص 272.

² - حميد لحميداني، النقد الروائي والإيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص

إنّ يتضح لنا من خلال هذا أن المنهج الاجتماعي هو الأساس والمنبع الحقيقي لظهور نظرية الرواية.

1- الرواية كإيديولوجيا:

إنّ الرواية كإيديولوجيا لا يمكن الحديث عنها إلاّ بعد إستيعاب طبيعة الصراع وتحليلها بين الإيديولوجيات داخلها ونتيجة هذا الصراع، لأنّ الرواية كإيديولوجيا تعني موقف الكاتب بالتحديد، وليس موقف الأبطال كل منهم على حدة، فالإيديولوجيات داخل الرواية لا تلعب إلاّ دوراً تشخيصياً ذات طبيعة جمالية من أجل توليد تصور شمولي، وكلّي هو تصور الكاتب.

وهذه الفكرة تختلف مع آراء باختين لأنه يميل إلى حصر وجود الإيديولوجيا داخل الرواية في المستوى الأول، ولذلك يجعل الكاتب صاحب موقف حيادي في الغالب، وخاصة في الروايات ذات الأصوات المتعددة *Les romans pluphonique*، وعندما يتحدث عن المتكلم في الرواية يشير أساساً إلى الشخصية المجسدة في النص الروائي⁽¹⁾.

"في الرواية الإنسان الذي يتكلم وكلامه هو موضوع لتشخيص لفظ أدبي، وليس خطاب المتكلم في الرواية مجرد خطاب منقول أو معاد إنتاجه، بل هو بالذات مشخص بطريقة فنية وهو خلافاً للدراما مشخص بواسطة الخطاب نفسه (خطاب الكاتب)⁽²⁾ .

إنّ الطريقة التي تحدث عنها بيير ماشيري فيما يخص تولد موقف الكاتب من خلال الصراع الدائر بين الإيديولوجيات داخل النص هي نفسها تلك التي كان قد بلورها بصورة بارزة باختين منذ بداية هذا القرن، فعن طريق توضيح *Objectivation* كلام الآخرين

¹ _ المرجع السابق، ص 35.

² _ ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة، دار الأمان، الرباط، 1987، ص 90.

(إيديولوجياتهم) يمكن للكاتب أن يطرح الأسئلة على الآخر ويظهر ضعفه ويكشف عن حدود تصوراتهِ.

وهذا يؤدي إلى التحرر من سلطة كلام الآخرين بعد أن كان هذا الكلام يهيمن على الكاتب.

وباختين هنا لا يصح أبداً لأنّ الكاتب يصبح بعد هذا صاحب اختيار إيديولوجي ما، إذ يبدو لنا وكأنه يتصور الرواية مختبراً للمعرفة السوسولوجية وبالأخص الرواية الديالوجية، أكثر ما هي مجال للاختيار الإيديولوجي.

والكاتب في الرواية الديالوجية ليس موجوداً لكي يختار من بين الإيديولوجيات ما يلائمه، ولكنه موجود فقط ليمتحن جميع الإيديولوجيات وبشأ كسرهما ليعرف حدود كل واحد منها⁽¹⁾.

إن صوت الكاتب في الواقع أو (إيديولوجيته) يكونان موجودات ضمن الأصوات المتعددة المتعارضة منذ بداية الرواية، غير أن جميع هذه الأصوات تبدو متعادلة القيمة بحيث يكون من المتعذر تماماً تحديد الموقف الذي يتبناه الكاتب مادام يدير الصراع الإيديولوجي في شبه حياد تام.

إنّ آراء الكاتب لا تشكل في البداية إلا طرفاً واحداً من حدود الصراع الإيديولوجي، ولا ينتبه القارئ إلى مشروع الكاتب الإيديولوجي إلا بعد أن يكون قد انتهى من قراءة العمل.

ونحن نجد تأكيد هذه الفكرة فيما قاله أحد النقاد إذ رأى "أنّه في سياق وضع نظرية الإنتاج الأدبي، وانطلاقاً من المبادئ المادية فقد تمت محاولة إظهار التناقض المعقد الذي ينتج النص الأدبي فما يمكن الكشف عنه على أنّه المشروع الإيديولوجي عند الكاتب -الذي يعبر عن موقف طبقة محددة- ليس في الواقع سوى واحد من حدود ذلك التناقض الذي يقدم

¹ - حميد الحميداني، النقد الروائي والإيديولوجيا، ص 36.

النص تركيبياً خيالياً له المواقف المتناقضة دون القدرة مع ذلك إلغاء الفروق الواقعية الموجودة بين هذه المواقف⁽¹⁾.

من خلال هذا يتضح لنا إذن أنّ الإيديولوجيا في الرواية عادة ما تكون متصلة بصراع الأبطال بينما تبقى الرواية كإيديولوجيات تعبيراً عن تصورات الكاتب بواسطة تلك الإيديولوجيات المتعارضة نفسها.

فمن خلال كل ما سبق نستنتج أن الخطاب الروائي يحمل أبعاداً إيديولوجية يضيفي هذا عليه أبعاداً جمالية فنية تخدمه في بناءه.

2- علاقة الرواية بالإيديولوجيا:

هل توجد علاقة بين الجنس الروائي و الإيديولوجية وإن وجدت فما هي، وان وجدت فما هي العلاقة بين العالم أو العمل الروائي وبين الإيديولوجيا؟

أ- الإيديولوجيا:

بشكل عام، يكاد أن يكون من المتفق عليه تعريف الإيديولوجية بأنها نسق من الأفكار والعادات والأخلاق والمفاهيم والفنون..... إلخ. تشكلت في مرحلة تاريخية محددة، أو على قاعدة نمط إنتاج، أو نمط حياة معين⁽²⁾.

ب- الرواية:

الرواية كجنس أدبي ظهر مع بداية مرحلة التشكل البرجوازي للمجتمع الأوروبي الحديث (رواية دون كيشوت مثلاً) يمتاز هذا الجنس باعتماده النثر أداة في عرضه وقائع الحياة ضمن سياق حكاية متخيلة.

¹ _ ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر محمد برادة، دار الأمان، الرباط، 1987، ص 100-101.

² _ محمد كامل الخطيب، الرواية والواقع، دار الحداثة، ط1، 1981، ص 105.

وكما هو معروف فالنثرية تسمح للجنس الأدبي الجديد بمقاربة أكبر لحياة الناس والواقع أن النثرية تقرب العلاقة بين الواقعي والمتخيل وهذا ما يحتاجه ويمتاز به الفن الروائي⁽¹⁾. فمن خلال هذا التعريف إتضحت علاقة الإيديولوجية بالمجتمع، وبالواقع وبالتاريخ، أي نمط الإنتاج، كذلك سبق تبيان علاقة الرواية بالمجتمع، الواقع، التاريخ.... نمط الإنتاج. لكن الإيديولوجية لا تظهر كشيء قائم بذاته، كشيء مستقل، اسمه الإيديولوجية، الإيديولوجية تظهر كما سبق، عبر الآداب والديساتير والعادات والأخلاق والفلسفات.... إلخ. إذن ما يلاحم بين هذه مفهومات ومضامين هذه الحقول المشتركة، أي المشترك بينهما هو الإيديولوجية والرواية كجنس أدبي تتدرج ضمن حقل الأدب الذي هو أحد مظاهر الإيديولوجية وأحد حقولها.

إن الرواية باعتبارها هذا تحتوي إيديولوجية - طالما هي تحتوي شخصيات- وأن لم تكن كلها إيديولوجية مثلما البشر ليسوا إيديولوجية مجردة فأية إيديولوجية تحتوي الرواية أو أي بشر تحتويهم الرواية⁽²⁾.

فالرواية تكتب أو تنتج ضمن مجتمع معين له إيديولوجية السائدة وإيديولوجية المسودة وغير المبلورة غالبا في حالة المجتمعات النفسية طبقيا، إن الرواية في مثل هذه المجتمعات وهذه هي المجتمعات التي تعنينا لأنها شبيهة بمجتمعاتنا فنكتب أو تنتج في مجتمع توجد فيه أكثر من إيديولوجية قوة اجتماعية.

إذن فالرواية بنوعها لا تستطيع أن تبتعد عن الإيديولوجية السائدة طالما تصور بشرا أحياء فاعتبارها -الرواية- نثرا واقعيًا - أي مصورا للحياة البشرية، أو لشبكة محاكية لشبكة

¹ _ محمد كامل الخطيب، الرواية والواقع، ص 106.

² _ المرجع السابق، ص 109.

الحياة الواقعية- فإنها لا تستطيع إلا أن تعرض الإيديولوجية السائدة، طالما أنها موجودة وسائدة، فهذه الإيديولوجية هي نمط علاقات الناس، هي عاداتهم وأفكارهم وأخلاقهم.

وكما هو معروف فالأفكار والقيم المتداولة هي قيم وأفكار الطبقة المسيطرة، والرواية بعرضها وتصويرها لعادات الناس وعلاقاتهم وطرق معيشتهم إنما تعرض كذلك، شاءت أم أبت إيديولوجيتهم لكن قد يكون للروائي إيديولوجيته المغايرة أو المناقضة للإيديولوجية السائدة. ومن هنا فإن تصويره للمجتمع عبر شبكة علاقاته الروائية سيكون متأثراً إلى هذه الدرجة أو تلك ليس بواقعة الإيديولوجية السائد فقط، بل بوعيه الطبقي، والذي هو وعي إيديولوجي كذلك⁽¹⁾.

فالرواية خيط بشري في النسيج الاجتماعي الحياتي.

المبحث الثالث:

علاقة الرواية بالواقع الاجتماعي:

تعد الرواية من أكثر الأجناس الأدبية إستيعاباً للواقع ومتغيراته، بحيث يعبر الكاتب بكل حرية عن الأحداث ويحاكي مختلف الحالات الاجتماعية لدى الفرد إذ يرى رولان بارت في بعض كتاباته أن: " الرواية عمل قابل للتكيف مع المجتمع، وأن الرواية تبدو كأنها مؤسسة أدبية ثابتة الكيان، فهي الجنس الأدبي الذي يعبر عن الامتياز عن مؤسسات مجموعة إجتماعية، وبنوع من الرؤية للعالم الذي يجره معه ويحتويه في داخله، والرواية تعد شكلاً من أشكال التعبير الإجمالي المحتذي به أن كثيراً من الروائيين نالوا جائزة نوبل"⁽²⁾. تقوم الرواية بالنظر إلى المجتمع نظرة شمولية ومع تركيز على ضرورته وكشف الواقع الإجمالي للمجتمع، والفن الروائي له دور كبير في رصد الأحداث والوقائع.

¹ _ المرجع السابق، ص 111.

² _ عبد الملك مرتاض، في نظرية الأدب - بحث في تقنيات السرد، د.ط، صدرت السلسلة في شعبان 1998، بإشراف مشاري العدوان، الكويت، 1923-1990، ص 34.

فالهدف الرئيسي من الرواية هو نقل المعاناة والظروف التي يعيشها الإنسان داخل مجتمعه ويقوم بتصويرها داخل الرواية محاولا إعطاء البديل وإيجاد الحلول "وبهذه السيرة أصبحت الرواية أعمق مدلول، وأنفع وظيفة اجتماعية وسياسية وثقافية، إذا غدت وسيلة من وسائل التربية والتنقيف والترفيه وتهذيب الطابع، وترقيق العواطف وصقلها وذلك بحكم شموليتها الثقافية المتميزة في الغالب بالعمق والأصالة الفكرية.

وكذلك نلقى الطابع الموسوعي هو الذي يتسم كثيرا من الإبداعات الروائية الكبيرة، كما هو الشأن لدى ميكائيل دي سرفانتيس، وجان جاك روسو وبارزاك، وسواهم من كبار الروائيين الأوائل إذ لم يقتصر الأمر ليهم على عكس الواقع الإجتماعي المعقد الفضفاض، وإنما جاوزه إلى تنقيف القارئ في مجال حقول المعرفة الإنسانية⁽¹⁾ فالرواية هي من بين الوسائل التي تمكننا من إظهار الواقع الاجتماعي وتجعل الفرد يفهم ذلك الواقع ومحاولة معالجته بما يخدم لمجتمعه، والتعمق في نواحيه للكشف عن ماهيته.

الرواية أنت كنتيجة لوعي الروائي لما حصل من مشاكل ووقائع بمعنى "أن الكتابة الأدبية هي حدث ذو طبيعة اجتماعية لأن المجتمع يؤثر في الفن من خلال مشكلاته الحيوية التي تحفز الفنان على الخلق ولأن هذا الأخير شأنه شأن أي فرد داخل الصراع"⁽²⁾.

مناقشة علاقة الأدب بالمجتمع بتلك العبارة الشهيرة التي ولدت كتابات دي بونالد بأن: "الأدب تعبير عن المجتمع". إذ يعد الأدب مرآة عاكسة للواقع الاجتماعي، كونه يصور الحياة الاجتماعية ومختلف التحولات والتغيرات الحاصلة فيه، كما أن الأدب يتغير بتغير المجتمع⁽³⁾.

¹ _ عبد الملك مرتاض، في نظرية الأدب، المرجع السابق، ص 35.

² _ حلاب نور الهدى، المنهج الاجتماعي في النقد نشأته وخصائصه، مجلة مركز دراسات الكوفة، ع38، جامعة العقيد أكلي محند أولحاج، الجزائر، 2015، ص 259.

³ _ المرجع نفسه، ص 259.

"بالإضافة إلى تخصيص البنية التخيلية للرواية ورفدها بطاقات تعبيرية هائلة انبثقت من قدرتها على صهر مختلف تقنيات الفنون الأخرى داخل صوغها الروائي وتمثيل مختلف التصورات والأفكار المتصارعة في الواقع الإجتماعي"⁽¹⁾، تتجسد في الرواية مختلف المشاكل ووقائع المجتمع

إضافة إلى الصراع الذي يترتب عن التفاوت الطبقي في السياسة والحكم، بمعنى سيطرة الحكم على عامة الشعب الذين تعاليهم الطبقة وكل أنواع الفقر والقهر والبطالة والعنف...

"الأدب ناموس إجتماعي يتخذ وسيلة له اللغة التي هي وليدة المجتمع، والأدوات التقليدية من الرمزية والعروض هي بطبيعتها أدوات اجتماعية، إن الأدب يحاكي الحياة والحياة في معظمها -حقيقة اجتماعية، رغم أن عالم الطبيعة الخارجي والعالم الداخلي الذاتي للفرد كانا أيضا موضوعا للمحاكاة الأدبية"⁽²⁾.

يمكن البحث في حيثيات "الأدب والمجتمع" باعتبارهما يكملان بعض بحيث عادة يجيء البحث في "الأدب والمجتمع محدودا وسطحيا وتطرح أسئلة حول علاقة الأدب بموقف إجتماعي معين، بنظام اقتصادي أو اجتماعي أو سياسي، وتجري المحاولات لوصف وتحديد أثر المجتمع على الأدب وكذلك تحديد وضع الأدب في المجتمع والحكم عليه"⁽³⁾

¹ _ أحمد الجرطي، الرواية العربية والمتخيل البنية الفنية للناقدة يمنى العيد، المرجع السابق، ص 151.

² _ رينيه وليك، آستن وآرن، نظرية الأدب، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1992، ص 131.

³ _ المرجع نفسه، ص 133.

الفصل الثاني

تجليات الصراع الطبقي في رواية يوتوبيا

1_ محتوى الرواية

2_ آليات تحليل الرواية

3_ تجليات الصراع الطبقي رواية يوتوبيا

تحليل رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق:

قبل الولوج إلى تحليل الرواية يجب أن تكون لنا نبذة عن الروائي:

يعد **أحمد خالد توفيق** من أشهر الكتاب في مجال أدب الرعب وأدب الشباب، وهو طبيب وأديب مصري، ولد في مدينة طنطا -عاصمة محافظة الغربية- في مصر متزوج وأب لطفلين **محمد ومريم**، تخرج احمد خالد توفيق من كلية الطب في جامعة طنطا عام 1985، وحصل على الدكتوراه في طب المناطق الحارة عام 1997، والتحق كعنصر هيئة التدريس وإستشاري قسم الأمراض الباطنية المتوطنة في طب طنطا.

يقدم **أحمد خالد توفيق** ستة سلاسل للروايات وصلت إلى ما يقارب 236 عددا، وقد قام بترجمة عدد من الروايات الأجنبية ضمن سلسلة "روايات عالمية للجيب"، كما قدم الترجمة العربية الوحيدة لرواية "نادي القتال" للروائي الأمريكي **تشاك بولانيك**، كما أن له بعض التجارب الشعرية، وتوفي رحمة الله عن عمره يناهز 55 عاما أثر أزمة صحية ألمت به (عليه رحمة الله تعالى وأسكنه الله فسيح جناته وأبدله سيئاته حسنات عن شاء الله).

بدأت رحلته الأدبية مع كتابة سلسلة ما وراء الطبيعة ورغم أن أدب الرعب لم يكن سائدا في ذلك الوقت، فإن السلسلة حققت نجاحا كبيرا واستقبالا جيدا من الجمهور، ما شجعه على استكمالها، وأصدر بعدها سلسلة فنتازيا عام 1995 وسلسلة سفاري عام 1996، وفي عام 2006 أصدر سلسلة WWW.

ألف احمد توفيق روايات حققت نجاحا جماهيريا واسعا، وأشهرها "رواية يوتوبيا" عام 2008، وقد ترجمت إلى عدة لغات وأعيد نشرها في أعوام لاحقة، وكذلك رواية "رواية السنجة" التي صدرت عام 2012 "ورواية مثل إسكارس" عام 2015، ثم رواية في ممر الفئران التي صدرت عام 2016، بالإضافة على مؤلفات أخرى مثل: "قصصات قابلة للحرق" و "عقل بلا جسد" و "الآن نفتح الصندوق" التي صدرت على ثلاثة أجزاء.

إشتهر أيضا بالكتابات الصحفية، فقد انضم عام 2004 إلى مجلة الشباب التي تصدر عن مؤسسة الأهرام، وكذلك كانت له منشورات عبر جريدة التحرير وعديد من المجلات الأخرى، كان له أيضا نشاط في الترجمة، فنشر سلسلة رجفة الخوف وهي روايات رعب مترجمة، وكذلك ترجم رواية نادي القتال الشهيرة من تأليف تشاك بولانيك، وكذلك ترجمة رواية "ديرمافوريا" عام 2010 وترجمة رواية "عداء الطائرة الورقية" عام 2012، إستمر نشاطه الأدبي مع مزاولته مهنة الطب.

ولقد تميز الروائي خالد أحمد توفيق بأسلوبه المتميز والساخر وشخصياته الفريدة، كما أن رواياته دائما ما تتناول الشعب المصري وما قد يحدث للبلاد في المستقبل.

المبحث الأول:

محتوى الرواية:

تعد رواية يوتوبيا أول رواية صدرت خارج المؤسسة العربية الحديثة، وهي من الروايات الكاشفة عن الصراع الإقتصادي والسياسي والإجتماعي، وكل ما يتعلق بالظلم والعزلة والفقر، يوتوبيا هي رواية شديدة الأثر والتأثير، مليئة بالمفاجآت وبالأحداث بأسلوب روائي مميز وقوي، وظف الكاتب الخيال والحقيقة، رواية تجسد في ثناياها الحزن والسواد ولا عنصرية.

رواية يوتوبيا هي رواية اجتماعية أصلية تتميز بجودتها العالية من تأليف الروائي خالد أحمد توفيق صدرت عام 2008، تدور القصة حول مصر في 2023، حيث تتحول إلى طبقتين، الأولى بالغة الثراء والرفاهية وهي يوتوبيا، والثانية فقر مدقع يعمها السواد ولا عنصرية، أما الطبقة الوسطى اضمحلت تماما، يوتوبيا مدينة الأغنياء موقعها على الساحل الشمالي تحيط بها أسرار تعزلها عن الفقراء الذين يدعونهم بالأغيار يحكمهم المرض والصراعات والجوع، يقوم الماينز بحمايتها منهم، شعار يوتوبيا أن يفعل شعبها ما يريد ما لم

يعتدي على مال غيره، لم يعد هناك فرق بين عربي أو أعجمي أو يهودي أو مسلم وظهر بينهم نوع جديد من المخدرات يدعى الفلوجوستين.

بطل الرواية شاب غني يدعى **علاء** يعاني من ملل شديد لتوفر كل متطلبات الحياة كالراحة والمال والجنس والفلوجوستين... فقرر القيام بمغامرة إلى عالم الأغيار ويكسر حاجز الملل مع صديقه **جرمينال** من أجل الحصول على قطعة من جسد فقير ليتباهى بها أمام أصدقائه، هناك عمال أغيار في يوتوبيا يدخلون صباحا لها ويخرجون ليلا لأنه هناك أعمال لا يمكنك لسكان يوتوبيا الأغنياء القيام بها، إستغل **علاء** و**جرمينال** الفرصة وتسللوا خارجا، توغلا داخل المدينة وبين الناس وجدوا فتاة فقام **علاء** بضربها على عنقها، وفي اللحظة التي قرر فيها أن يخرج هاتفه ويتصل بوالده ليرسل له طائرة خاصة إجتمع حوله الناس وعرفوا أنه من يوتوبيا.

وعلى الجانب الآخر يتواجد " **جابر** " الشاب المثقف ذو الثلاثين عاما من الأغيار، فاقد لقرينته كان يختلف عن غيره فكان كثير القراءة ولكنه يساير غيره ليضمن العيش لنفسه وأخته **صفية**.

صادف **جابر** **علاء** و**جرمينال** عرفهم على الفور أنهم من يوتوبيا رغم تنكرهما المتقن، رآه وهو يضرب سمية إبنة أخ السرجاني وسلعته الوحيدة التي صار تحت رحمته ورحمة عصابته، فقام **جابر** بالتدخل وبراء **علاء** و**جرمينال** بإغرائهم بالفلوجوستين وأخذهم إلى كوخه المتواضع، ثم عرفهم على أخته **صفية**، كان يظهر لهما كرها شديدا رغم ذلك ساعدهم على العودة إلى يوتوبيا بعد يومين، لكن قبل أن يعودا قام **علاء** باغتصاب أخت **جابر** العذراء رغم مقاومتها رغم كل الخير الذي قدمه لهما، ثم هددها أن لا تخبر **جابر**، وعند إرشاده لهما خلال نفق سري يؤدي إلى يوتوبيا قاما بقتل **جابر** واقتلاع يديه لتباهي بها في يوتوبيا.

بعد مدة من عودتهما شلت يوتوبيا كليا بسبب استبدال الأغيار الوقود بمياه المجاري وقاموا بثورة ضد شعب يوتوبي، فأحدث موت **جابر** بركاننا في قلوب الأغيار، وأبوا أن يلقنوا

درسا للذين يقتلون ولا يرحمون، فكانت وفاته بمثابة نقلة نوعية للبحث عن حياة أفضل وإعلان الحرب على بوتوبين.

المبحث الثاني:

آليات تحليل الرواية:

تعد الرواية سرد نثري طويل تصف شخصيات وأحداث على شكل قصة متسلسلة كما أنها تعد أكبر الأجناس القصصية النثرية من حيث الحجم، وتعدد الشخصيات مع تنوع الأحداث كما نجد الرواية تهتم بالمواضيع الإنسانية حيث تعتمد على خاصيته الواردة فيها، بما فيه من وصف وحوار وصراع بين الشخصيات وما ينطوي عليه ذلك من تأزم الوضع والجدل الذي يغذي الأحداث ويحركها.

فمن هذا يتضح لنا آليات تحليل الرواية وهي: العنوان، الموضوع، الحدث، الشخصيات، الإطار المكاني والزمني للرواية.

1- العنوان:

في بداية الأمر يتضح لنا أن العنوان يعتبر سؤالاً عن مغزاه، فعلى أي أساس سميت رواية يوتوبيا بهذه التسمية هل لأنها تحاول وتعالج أن تظهر لنا إلى ما ستحيل وتؤول إليه مصر في عام 2023 حيث تنقسم إلى طبقتين.

فالعنوان إذن هو: "مجموعة من العلاقات اللسانية التي يمكن أن ترسم على نص ما من أجل تعيينه ومن أجل أن يشير إلى المحتوى العام وأيضا من أجل جلب القارئ."⁽¹⁾.

فالعنوان هو أساس جوهري في أي فن أو نص روائي فهو الأداة الناجحة لصاحب النص فعنوان رواية يوتوبيا هو مصطلح يصف الدولة الفاضلة حيث يكون كل شيء مثالي

¹ _ حلومة التيجاني، البنية السردية في قصة النبي ابراهيم عليه السلام، دراسة تحليلية سميائية في الخطاب الروائي، ط1، دار مجد لاوي للنشر والتوزيع، 2013-2014، عمان، الأردن، ص 73.

للشعر وتكون كل قيم العدل والمساواة متوفرة وجميع الشرور مثل الفقر والبؤس والأمراض غير موجودة، ولكن في مدينة يوتوبيا **لأحمد خالد توفيق** فهي مدينة الأغنياء فقط يحرسها رجال الماينز الأمريكيان وهكذا يكون المجتمع مقسم إلى طبقتين أحدهما يملك كل شيء والآخر لا يملك شيء، وهذه ما ستكون عليه مصر عام 2023.

2- الموضوع:

إن الموضوع الأساس في رواية يوتوبيا التي تحمل في ثناياها أبعاد اجتماعية، هو الصراع الطبقي، فهي تصور حسب الكاتب ما ستكون عليه مصر في سنة 2023، فالصراع بين طبقتين، واحدة بالغة الثراء والرفاهية والثانية فقر مدقع تتقاتل من أجل لقمة العيش.

3- أحداث الرواية:

الحدث 1: تجسيد مظاهر الفقر

" لا يوجد هدف أوضح من رجل مجرد من السلاح وسط رمال الصحراء... رجل أنهكه الركض... رجل أنهكه الجوع... رجل أنهكه القنوط..."⁽²⁾، وقد رسم الكاتب الصورة الحقيقية للفقر وماهي نتائجه، وكلّ إنسان يتضارب مع غيره لا سيما في زمن كثرت فيه الأمراض النفسية والجسدية التي سببها لنفسه بل وإستدرج ظلامها والفتك به، وكذا طغيان العنف والتسلط في حياتهم.

الحدث 2: مظاهر الإستخفاف والإحتقار

لا تقاوم يا أحمر... ما الذي تمنحك إياه لحظات أخرى من العيش مع الأغيار؟ ما الذي تحققه في سنواتك العشرين السابقة وتنوي تحقيقه لو ظللت حيا؟... فرارك هذا لا يختلف

² _ أحمد خالد توفيق، رواية يوتوبيا، ص 11.

عن فرار الصرصور على جدار المطبخ...⁽³⁾. ويمكن القول في هذا الصدد أن مجرد تفسير عميق لهشاشة التفكير الإنساني وإبراز كيفية تخلي الإنسان عن طموحه وعن عيشه بطريقة عبثية في الحياة فلقد عاش الشعب اليوتوبي داخل أساور يوتوبيا في بأنه لا مفر من السقوط إلى الهاوية وانعدام الأمل في العيش أحرار.

الحدث 3: تصوير لعبة الموت

" الموت ... اللعبة العظمى التي لم نجربها بعد...⁽⁴⁾، ولقد صور لنا الكاتب جشاعة الشعب اليوتوبي وممارسته كل أنواع القتل، وكان موتهم أشبه بحالة إنتصار ليوتوبيا، وتراكت ملامح تعذيب الجسد وهي اللعبة الأكثر خطورة التي فتكت دماء الأبرياء.

ويوتوبيا تضج بكل ملامح البذخ والراحة والتشبع بالمحرمات وغياب لديهم صفة الإنسانية بمعنى أن قلبهم من حجر، فالإنسان في نظر يوتوبيا ليس مالكا لقدراته وهو خاضع لإرادة الدم وأكل اللحم والتلذذ بشرب السقم وسر بقاء الفقراء على قيد الحياة هي التمسك بالمبادئ

والدين والقيم والطريقة الوحيدة لإضعاف الآخرين وجعلهم يستسلمون هي تجويعهم وتفريغهم من الصبر أي تحويلهم إلى حيوانات مفترسة تأكل بعضها.

الحدث 4: مظاهر الشفقة والخوف

من أنا؟ دعنا من الأسماء... ما قيمة الأسماء عندما لا تختلف عن أي واحد آخر، قال لي سالم بيه: أنت تقرأ كثيرا... أنت مجنون⁽⁵⁾. وهذا يعبر عن الفضاء السوداوي الضيق الذي يحمل في طياته عاطفتي الشفقة والخوف، وتختلط فيه أنواع الأغيار، فكل الأشخاص يتشابهون في كل شيء وأنماطهم متشابهة لا سيما أنهم يتصرفون بذاتية العقل

³ _ المرجع السابق، ص 12.

⁴ _ المرجع نفسه، ص 13.

⁵ _ المرجع نفسه، ص 15.

الجمعي المتشابه، فهي عبارة عن مدينة فقيرة مملوءة بالعشوائيات، ويتقاتل أفرادها من أجل رغيف الخبز.

الحدث 5: ممارسة المحرمات

" لم أعد أعرف إن كانت الفتاة مثيرة أنم لا لأنهن يتشابهن في كل شيء " (6). وهذا عبارة عن تناقض وكذا إنتقام من المرأة العربية، لم يعد ثما تمييز مهم يمكن إلتقاطه في الشخصية النسوية العربية، وقد كثرت قضايا الإغتصاب التي أصبحت تمارس بكل حرية ودون أي عناء ومشاكل.

الحدث 6: إبراز معالم الخوف لدى يوتوبيا

" يوتوبيا المستعمرة المنعزلة كونها الأثرياء على الساحل الشمالي ليحموا أنفسهم من بحر الفقر الغاضب بالخارج وهي صارت تحوي كل شيء يريدونه " (7). يوتوبيا الطبقة العليا الخاصة بالأثرياء وقد بنت برجا عاليا تعيش فيه خوفا من عشوائيات الفقراء، وقد فصلت يوتوبيا بين خطين الفقر والثراء، ولا تريد الإختلاط مع الفقراء ومرارة واقعهم الإنساني.

الحدث 7: حيثيات مصر وخفاياها

" لم يكن لدى المصريين ما يباع سوى الماضي وقد إشترينا هو دفعنا ثمنه البايرول الذي إحتكرته يوتوبيا والمجتمعات المماثلة... " (8). ويمكن إستكشاف بعض الخبايا من هذا القول كون أن المصريين باعوا حضارتهم وماضيهم بثمن بخس. كما أن الكاتب استخدم

⁶ _ المرجع السابق، ص 18.

⁷ _ المرجع نفسه، ص 20.

⁸ _ المرجع نفسه، ص 33.

تشبيهات غريبة الدلالة فورد في الرواية " يمكن أن تشم الضوء "⁽⁹⁾ وهل يمكن للأنف أن يشم الضوء وهذا عبارة عن تشبيه.

الحدث 8: تصوير كيفية إشتغال شعب الأغيار في يوتوبيا

" في الحادية عشر تصل السيارة التي تنقل العمال لمناطقهم العشوائية... نعم هناك عمال في يوتوبيا لأنّ هناك أعمالا لا نستطيع القيام بها...، يأتون صباحا بحافلة خاصة، ويعودون بها ليلا، وهم تحت المراقبة في كل الظروف "⁽¹⁰⁾، وفي هذا يصور لنا الكاتب مسألة الطبقة المهمشة لدى الواقع اليوتوبي، وتعرض هذه الطبقة إلى القهر والإستغلال، فلا مكانة لهم لا رأي سوى الإستغلال قصد توفير لقمة العيش، ولا يمكنهم التعدي على غيرهم فهم محاصرون ومراقبون.

الحدث 9: خوف يوتوبيا من خسارة مملكتهم

" عندنا في يوتوبيا متدينون كثيرون والطائرات الذاهبة للعمرة لا تتوقف لكن السبب كما إعتقد هو أن يفقدوا كل شيء في لحظة... أن يصحوا ويجدوا أنفسهم وسط هذا الزحام بيتاعون شطائر من كبد الفئران ويشربون الكحول الأحمر... "⁽¹¹⁾. يصور لنا الكاتب أن إيمانهم ليس خالص وإنما هذا كله سببه خوف من فقدان رفايتهم ويعبر عن هذا التفكير الدنيء بصورة لاذغة لتلك التفاصيل المتشكلة وفق نظرية سلبية.

الحدث 10: مظاهر التشاؤم والبؤس

⁹ _ المرجع السابق، ص 35.

¹⁰ _ المرجع نفسه، ص 40.

¹¹ _ المرجع نفسه، ص 51-52.

" ما الجديد الذي سنقدمه للعالم سوى المزيد من البؤس "(12)، أي أن الروائي لنا مظاهر من السواد فيرى أن تواجد الأنماط المتشابهة لا يخلق سوى بؤسا.

الحدث 11: إحصاء الجرائم

وقد صور لنا الكاتب في الصفحة 81 من الرواية إحصائيات عن العنف ضد النساء وكأن المتلقي يعيش أجواء بحث علمي يحدد الروائي من خلاله، وفي الصفحة 98 تحدث عن إحصائه مدمني المخدرات من الدكتور أحمد عكاشة وهذا الأمر أبدا لم يقلل من إيقاع السرد الروائي أو يحدث الملل من إيقاع السرد الروائي.

كما في الثالث: الصياد والرابع: الفريسة والخامس الصياد وهنا يستمر الروائي في فكرة الأنماط المتشابهة.

4- الشخصيات الواردة في للرواية:

تعتبر الشخصية من أهم عناصر البنية السردية، فهي الجانب الأهم في الشكل الروائي الذي لا يفصل عن الأحداث.

"الشخصية عماد من أعمدة البناء الروائي ولا نبالغ إذا قلنا أنها حيز الرواية في بنية النص السردية"(13).

فمن الروايات العربية التي تميزت بطرحها الموضوعي لقضية الصراع الطبقي في المجتمعات الإنسانية هي رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق، إذ شملت الرواية شخصيات أثرت بشكل واضح على سير الأحداث ورسم ملامح هذه الرواية، وقد جسد فيها الكاتب روتين هو تفكيره الإجتماعي الذي أراد توصيله بتفاعل ودور كل شخصيته في الرواية.

¹² _ المرجع نفسه، ص 75.

¹³ _ شعبان عبد الحكيم محمد، الرواية العربية الجديدة، دراسات في آليات السرد وقراءة نصية، ط1، دار الوراق للنشر والتوزيع، 2014، عمان، الأردن، ص 69.

فرواية يوتوبيا هي رواية تستشرف المستقبل انطلاقاً من وطن الكاتب مصر حيث ينقسم المكان إلى منطقتين: الأولى هي منطقة يوتوبيا وقد مثلها شخصية رئيسية وهو بطل الرواية فهي شخصية شاب من يوتوبيا الذي لم يذكر الكاتب اسمه قائلاً:

- دعنا من الأسماء.

- ما قيمة الأسماء؟.

لا تختلف عن أي واحد آخر (14).

فالكاتب لم يذكر اسمه ولكن ذكر مجتمعه بالتفصيل لكن تعريفاً هو ابن رجل أعمال ثري اسمه (علاء) والده مراد وأمه تدعى لارين.

فعلاء شخصية فاحشة الثراء، مليء من حياة الرفاهية وقرر الخروج خارج أسوار يوتوبيا فالممل هو العنصر الذي بينت عليه أحداث الرواية.

وهناك أيضاً شخصية فرعية وهي شخصية جرمينال صديقة علاء التي تقرر معه مغادرة يوتوبيا فقررا مع القيام بمغامرة لعالم الأغيار (عالم الفقر) ليكسرا حاجز الممل عن طريق قتل شخص من هذا العالم الفقير والحصول على قطعة من فقير ليتباهى بها في قبيلته ليثبت نجاح مغامرته، ولكسر الممل يقول:

- الإثارة.

- الإثم.

- حرق القواعد.

- الإنحلال.

- التوتر.

1_ أحمد خالد توفيق، رواية يوتوبيا، دار ميريث للنشر والتوزيع، ص 15.

2_ المرجع نفسه، ص 25.

- التحدي.

- الهدم.....(15).

فكل العبارات تدل على أنه يعاني من ملل شديد لتوفر كل أساسات الحياة والراحة والمال والجنس، فأراد تحقيق هدفه وهو التسلل إلى أرض الفقراء وصيد أحدهم وأخذ تذكارة للمباهاة به أمام شباب يوتوبيا عند العودة.

أما الشخصية الرئيسية الثانية هي من منطقة عام الأغيار فهو إسم لفئة الفقراء في الرواية، يدعى جابر فهي الشخصية المثقفة يحاول الإصلاح والتغيير وعاش تجارب كثيرة في حياته، ولدى جابر أخ فهي أيضا من الشخصيات الفعالة في الرواية تدعى (صفية) وفي هذا الصدد يقول: لهذا أنا حي.....

لن أموت وأترك (صفية) تسرق أوتهمز، لن أموت وأتركها تجوع(16).

لن أموت وأتركها تحيا بلا حياة.

ومن هنا تتفاقم الأحداث مع شخصيات الرواية عند خروج شباب اليوتوبي علاء وصديقه جرمينال لاصطياد أحد أفراد الطبقة الفقيرة، ويتقابل علاء مع جابر حيث يأوي علاء وجرمينال في كوخه وعرفهم على أخته صفية.

- البعد الإيديولوجي للشخصيات:

الرواية هي إنتاج إبداعي وهي شكل من أشكال السرد، إلا أنها تتضمن أبعادا إيديولوجية تعبر عن واقع الأديب وقضايا العصر والمجتمع، بإعتبار الواقع هو لب الفن الروائي، فيجب البحث والتعرف على الطالع التي ترسم الأبعاد الإيديولوجية من خلال إستشارة خلفية الشخصيات، حيث يسعى الكاتب إلى إثارة أهم القضايا من زوايا نقدية.

¹⁵ _ المرجع السابق، ص 25.

¹⁶ _ الرواية: ص 81.

وهذه الأبعاد تلامس الواقع، وتعكس مختلف القضايا السياسية والإجتماعية والثقافية التي تصور تلك اللوحة الفنية، لا سيما أن العامل الأساسي فيها في الشخصية التي تلعب دور المناضل تدعو إلى إبداء الرأي وكذا محاولة التغيير والتغير.

1- الشخصيات الرئيسية:

1_ الكاتب المدعو بعلاء شخصية رئيسية والعنصر الأساسي في سبيل تحقيق الرواية وهو الشاب اليوتوبي الذي يتمتع بكل أساليب الرفاهية والبذخ دليل ذلك قوله: " وماذا بوسعك أن تفعل في هذه الجنة الصناعية؟ تنام... تتعاطى المخدرات تأكل حتى يزهد الطعام أنفاسك... وتمارس الجنس"⁽¹⁷⁾، ورغم كل هذه الأمور التي إعتاد عليها إلا أنّ الملل يجول في أنحاء عقله، وإلى جانب هذا فهو محبا للاستكشاف والقراءة ومطالعة الكتب، فقد كان يتردد عند سالم بيه لقراءة كتب الفلسفة والدين والروايات وأبتعد عن مواضيع السياسة والتاريخ " قلت إنّ القراءة بالنسبة لي نوع رخيص من المخدرات، لا أفعل بها شيئا سوى الغياب عن الوعي"⁽¹⁸⁾ وقد دفعه فضوله وملله إلى أن يقرر الذهاب للهو في أماكن مدينة الفقراء رغبة منه في قتل أحدهم وجعله عبرة لمن يعتبر.

ومن هنا نخلص إلى أنّ شخصية علاء أظهرت لنا أبعادا إيديولوجية إجتمعت كلها على تصوير واقع المجتمع المصري.

2_ جابر: الشخصية المحورية في الرواية، الشاب المثقف من شعب الأغيار الذي دعم شعبه في كلّ مراحل حياتهم وحاول التجديد وكذا التغيير في بعض جوانب مجتمعه، وهذه الشخصية ترمز إلى المعاناة وتحمل في طياتها القهر والعذاب وكذا كشف الستار عن خبايا لم يكن يعرف عنها شيئا في عالمه المثالي المليء بالقيم والمثل العليا "، ظلام الليل والصحراء... ظلام الإحتمالات والأفكار أعرف أنني أستطيع قهر جابر لو هاجمنا... لن

¹⁷ _ أحمد خالد توفيق، رواية يوتوبيا، ص 19.

¹⁸ _ المرجع نفسه، ص 15.

ينتصر الفقر والشعوب وسوء التغذية على الثراء والرياضة منذ الصغر⁽¹⁹⁾، كما أن جابر كان مولعا بالقراءة والبحث بمعنى أنه كان مثقف.

3_جرمينال: شخصية تابعة لعلاء، فقد كان لا يخطو خطواته دونها بمعنى أنها تركب سفينة الخطر معه، وتحاول مساعدته في كل أور حياته، أي هي بمثابة اليد اليمنى التي لا تفارقه،

تتباهي بمعرفتها كل شيء وقدرتها على إرتكاب الجرائم معه " شهقت جرمينال رعبا لكني لمحت في عينها ذلك البريق... بريق إثارة لا شك..."⁽²⁰⁾.

4_صفية: أخت جابر المحبوبة فقد كان يساير شعبه ليضمن حياة هادئة لأخته إلا أنّ هذه الفتاة عاشت صدمة كبيرة وأزمة نفسية إثر اغتصابها من علاء ولقد عانت القهر والظلم ولم يكتف بالإعتداء عليها بل هددها بعدم مصارحة أخيها، " جرمينال تراني أراقب صفية في فضول... وتهمس في أذني: لا تقل إنك تريدها، قلت إنني لا أمانع... لها مذاق خاص فريد يختلف عن مذاق الفتيات اللاتي اعتدتهن"⁽²¹⁾، لقد إستغلها ولم يفكر بالعواقب.

2- الشخصيات الثانوية:

1_ مراد: والد علاء وهو الشخصية الذي يهتم بأعماله وكذا العلاقات الجنسية ولا يتدخل في شؤون إبنة دائم السفر من أجل عمله ويوفر له كل متطلبات الحياة والرفاهية، وكان يرفض فكرة الصيد في قول الكاتب: " كنت أعرف أن مستر مراد لن يوافق... هو لا يريد المجازفة بورثته الوحيد، لا سيما أن علاء يرفض كلّ أوامر والده"⁽²²⁾، فيقول: " مراد

¹⁹ _ المرجع السابق، ص 26.

²⁰ _ المرجع نفسه، ص 12.

²¹ _ المرجع نفسه، ص 114.

²² _ المرجع السابق، ص 34.

هو الرجل الذي يصدر لي الأوامر لأرفضها ويعطيني المال... ما أهمية سلوكه الأخلاقي
" (23).

2_ لارين: أم علاء الشخصية التي تحاول إبداء الاهتمام اتجاه ابنها رغم أنه لا يهتم
بالعلاقات فهمه الوحيد هو تزويده بمتطلبات الحياة، كما أنها عرفت بالتسوق وتعارضت مع
علاء عن فكرة المغامرة فذكرته " أنه يمتلك كل شيء كسلطان زمانه... فلماذا المغامرة؟ هل
ينقصك شيء؟ معك

من المال ما يكفي لتشتري يوتوبيا كلها... لديك من الفتيات ما يشبع شهوات سلطان
فحل من سلاطين ألف ليلة وليلة " (24)، لكن هذا يبقى مجرد رأي لا سيما أن علاء لم يفتنع
ولم يهتم لأمرها.

3_ شادي: الشخصية المغامرة الذي خاض تجربة الصيد قبل علاء إلا أنه وجد لنفسه
محاصرا وعاجزا عن العودة، فاستعان بوالده فأرسل له طائرة هيلوكبتر فتعالت أصوات ذوي
الرصاص فوق الرؤوس، فأهبط رجال الإنقاذ الحبال ليحملوا شادي.

4_ إيلي: طبيب إسرائيلي، درس في نيويورك متخصص بخياطة الجروح، فقد استطاع
أن يداوي جرح علاء في جبينه، فقد عاجه هذا الطبيب فأعتبروه فن حقيقي.

5_ سالمبيه: رئيس تحرير الجريدة، يمتلك مكتبة توجد فيه كل أنواع الكتب، وقد كان
علاء يتردد في الذهاب إليه قصد القراءة لا سيما أن والده لا يطيقان القراءة فقال له سالمبيه
" صدقني يا بني... لا شيء من هذه الكتب يهم... أنا أفتنيها لأنها تجل منظر المكتب

²³ _ المرجع نفسه، ص 47.

²⁴ _ المرجع نفسه، ص 12.

أنيقاً، لكن الحياة هي المعلم الوحيد لك⁽²⁵⁾، إلا أن علاء مصر على القراءة وكان يعطيه بالمقابل شرائط الليبيدافرو التي يسرقها من والده.

لقد تجسدت في هذه الرواية أبعاداً إيديولوجية كونها تصور الواقع المصري وكذا أبعاد نفسية وثقافية واجتماعية، فقد صور الكاتب معاناة مجتمع الأغيار وصعوبة عيشهم خصوصاً بسبب تحكم الشعب اليوتوبي عليهم، وغياب سياسة الدعم من طرف الحكومة، وعدم توفير اللوازم

للعيش الكريم التي يحتاجها الشعب اليوتوبي في أعمالهم ونشاطاتهم الريفية، وكذا تصوير مختلف المشاكل والصعوبات التي يواجهها، وكذا تبيان مظاهر الصراع الطبقي بين فئات شعب المدينة الفقيرة، فيعيشون حالة خوف دائمة وإضطراب نفسي لا يفارقهم جراء الظلم والعنف، وكذا تعب نفسياتهم وإنهيارها بسبب السيطرة التي يتعرضون لها.

5- الإطار المكاني والزمني للرواية:

المكان والزمان على حد تعبير أنريكي امبرت هما مسرح الأحداث فإذا كانت الرواية في المقام الأول فهي زمنياً يضاهي الموسيقى في بعض تكويناته، ويخضع لمقاييس مثل الإيقاع، ودرجة السرعة فإنها من جانب آخر تشبه الفنون التشكيلية من رسم ونحت في تشكيلها للمكان⁽²⁶⁾.

فإذا كان الزمان يمثل الخط الذي تسير عليه الأحداث فإن المكان يظهر على هذا الخط ويصاحبه ويحتويه.

فالمكان هو الإطار الذي تقع فيه الأحداث، وهناك اختلاف بين طريقة إدراك الزمان وطريقة إدراك المكان.

²⁵ _ المرجع السابق، ص 16.

²⁶ _ سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، ص 103.

فالإطار المكاني للرواية⁽²⁷⁾ يوتوبيا نجد فضاء السرد في الرواية هيمن على منطقتين، الأولى: مدينة يوتوبيا المحصنة بمختلف أنواع الرفاهية ويحيط أسوارها جنود الماينزولا يسكنها إلا الأثرياء، أما المنطقة الثانية: هي مدينة الأغيار يسكنها الفقراء.

وقد تفرعت الأماكن في هاتين المنطقتين إلى عدة أماكن نذكر منها:

الأماكن المغلقة:

الكوخ: وهو كوخ جابر الذي يعيش فيه مع أخته، ويتضح هذا في قول الكاتب: كانت حالة الكوخ من الدخل أسوأ⁽²⁸⁾.....

الطائرة: التي يسافر بها الشاب اليوتوبي الثري ويتضح هذا في قول الكاتب: وابتعدت الطائرة⁽²⁹⁾.

شارع شبرا: هو اسم شارع في مدينة الأغيار حيث يقول الكاتب على هذا الشارع العالم الذي تركناه منذ زمن، يوم توارينا خلف أسوار (يوتوبيا)... شبرا...

هكذا يطلقون عليها⁽³⁰⁾...

الحافلة: حيث يقول الكاتب: الحافلة تنطلق مبتعدة بمن فيها...

الصحراء: ويتضح هذا من خلال قول الكاتب: (جابر يمشي وسط الصحراء بين النباتات الشوكية وبقايا الصبار...)⁽³¹⁾.

²⁷ _ المرجع السابق، ص 106.

²⁸ _ الرواية، ص 99.

²⁹ _ الرواية، ص 103.

³⁰ _ الرواية، ص 49.

³¹ _ الرواية، ص 172.

أما الأماكن المفتوحة وهي المدينتين المذكورة في الرواية والتي كانتا بمثابة الفضاء السردى الأهم لأحداث وسرد وقائع الرواية وتتمثل هاتيت المدينتين، مدينة يوتوبيا الثرية ومدينة الأغيار الفقيرة فهما المكانين الذي جرت فيها كل أحداث الرواية وهي دالة على الطبقة الإجتماعية

أما الإطار الزماني لرواية يوتوبيا فقد وضع الكاتب أحداث الرواية ضمن نطاق زمني معين، وهو المستقبل الذي سوف تؤول إليه حالة مصر في سنة 2023، ويكون الصراع بين طبقتين في ظل إنتشار الفساد والطغيان.

ولكن من جانب آخر من خلال دراستنا للرواية اتضح لنا أن الكاتب قد استعمل بعض الأزمنة ويتضح هذا من خلال أقواله:

(سمية) جاءت في الخامسة عصرا إلى كوشي.

لم أستطع أن أعمل يومين كاملين⁽³²⁾.

سأموت خلال يومين⁽³³⁾.

الموعد كان منتصف الليل⁽³⁴⁾.

إن هذه كانت بعض العبارات الدالة على فضاء الزمن في الرواية.

تجليات الصراع الطبقي في رواية يوتوبيا:

مما لا شك فيه أن رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق يميل طبعها للرواية الاجتماعية، لإعتبارها تحمل في ثناياها أبعاد إنسانية، وقد لخصت العديد من المشاهد الصراعات الدائرة في المجتمعات الإنسانية. حيث صورت لنا واقع اجتماعي حسب الكاتب إلى ما ستكون

³² _ الرواية، ص 133.

³³ _ الرواية، ص 72.

³⁴ _ الرواية، ص 64.

عليه حالة مصر سنة 2023، حيث يصبح الصراع بين طبقتين وشعبين، فهذا ما عبر عنه الشاعر عبد الرحمان الأنبودي:

إحنا شعبين ... شعبين... شعبين.

شوف الأول فين والثاني فين؟.

وأدى الخط ما بين الإثنين بيوفت⁽³⁵⁾.

إنتم بعنوا الأرض بفسادها بناسها.

فالصراع الرئيسي في الرواية قد تمثل بين طبقتين وشعبين ومنطقتين:

فالمنطقة الأولى: هي منطقة تتميز بالرفاهية والاستقرار وهي يوتوبيا التي يحتشد فيها

الأغنياء، يتعاطون المخدرات، فهي منطقة يحرسها جنود المارينز.

أما المنطقة الثانية: فهي منطقة الفقر المدقع تدعى مدينة الأغيار، يعيشون في

صراعات وحروب وعصابات يتقاتلون من أجل لقمة طعام، ويموتون بالأمراض والجوع ويصارعون من أجل البقاء.

إنّ الصراع صراع اثنين مثقفين الأول هو الصياد من مجتمع يوتوبيا الراقى، والثاني

جابر الفريسة من عالم الأغيار.

فالرواية حسب الكاتب تصور ما ستكون عليه مصر سنة 2023، حيث يصير

الصراع بين طبقتين واحدة تستفيد من ربح الدولة وتعيش في الاستقرار والغنى الفاحش والثانية الطبقة ثانياً تعاني ويكافحون للحصول على أقوات يومهم.

ومن هنا يتحدد الفرق بين الطبقتين، فالفقراء يقتلون من أجل لقمة العيش بينما الأثرياء

يقتلون من أجل التسلية وكسر الملل.

³⁵ _ الرواية، ص 150.

فقد تواصل الصراع في كل المحطات كاشفا سيمات كل شخصية ومكتشفا الوسط القادم منه.

فشخصية جابر مثلا عاش أصعب الظروف فقد صارع وقاوم من أجل البقاء والتغيير. فقد حاول أحمد خالد توفيق من خلال رواية يوتوبيا تجسيد الصراع والطبقية الموجودة في مصر، وكيف مع أنه مع تقدم الزمن تختفي الطبقة المتوسطة فيزداد الغني عنا ويزداد الفقير فقرا.

صراع الأفكار والشخصيات في رواية يوتوبيا:

تعددت المفاهيم في نطاق الساحة الأدبية والنقدية حول مواضيع سياسية اجتماعية واقتصادية وتاريخية التي لها صدى كبير في العقول التي تحاول المزج بين الحقيقة والخيال. وتعد رواية يوتوبيا من أهم الروايات التي ترصد أهم الفروق الاجتماعية الحاصلة بين شعب يوتوبيا وشعب الأغيار، فصراع الأفكار لديهم يعتمد على الأفكار التي تخطر في العقل البشري من اقتراحات مستحدثة وتحليلات للواقع والأحداث التي تولد العديد من الأفكار تتوافق مع قدرته على الاستنتاج والتعبير عن النفس الإنسانية التي تتشكل على أساس المعرفة سواء العلوم أو الفلسفة ومدى تأثيرها في حياة الإنسان اعتمادا على مبدأ الخبرة الفعلية.

لعل أغلب الروايات تعنلها شخصيات سواء الروايات الحقيقية أم الخيالية، فلا يمكن تصور العملية الإبداعية بدون شخصيات وهذا من أجل كشف الخبايا وتحرير معلم الوعي من القيود المتشابكة بين الشعبين وفتح المجال من أجل المساهمة في صنع التاريخ وكذا الإطلاع على رؤى مختلفة قصد السعي وراء الحقيقة المخفية، فكل شخصية في رواية تمتلك صفة فريدة تميزها عن باقي الشخصيات، ونشأت معه كفطرة أو اكتسبها من محيطه وصارت تتحكم بتصرفاته وقد تكون متفاعلة.

لقد استطاع الروائي أحمد خالد توفيق إستظهار الجوانب الفنية في رواية يوتوبيا وكذا إبراز نقاط الإختلاف وعدم التوافق في الرؤى والمصالح والأهداف والتوجهات تعكس أدبيات الصراع بين شعبين، ولقد تجسدت العديد من الأفكار التي تثبت التفاوت والصراع الحاصل بين الطبقتين.

وقد تجلت مظاهر الصراع بين الشعبين استنادا على كيفية تفكيرهم وفهم للأشياء ومدى تفتح عنصر الشخصيات وتفاعلهم في الرواية، ونستخلص كل هذا في الجدول الآتي:

شعب الأغيار	الشعب اليوتوبي
<p>_ هذه الفئة تعد مطحونة في المجتمع، التي تمثل أبناء وأحفاد موظفي الحكومة ومحدودي الدخل الذي لم يتمكنوا من الاستمرار في حياة الرأسمالية، بمبادئها الجافة: "نعم هناك عمال في يوتوبيا لأن هناك أعمال لا نستطيع القيام بها، يأتون صباحا بحافلة خاصة ويعودون ليلا، وهم تحت المراقبة في كل الظروف، لا يتكلمون ولا يرفعون عيونهم لكنك تشم منهم خليطا مزعجا من الخبث والمقت"⁽³⁹⁾.</p> <p>_ يتواجد الكثير من الأغيار لخدمة يوتوبيا وسادتها ويتم التعامل معهم على أنهم لا</p>	<p>_ هذه الفئة تمتلك كل شيء خاص بحياة الملوك ولهم كل الصلاحيات في اتخاذ القرارات ويتمتع شعبها بكل المتع وسبل الراحة متاحة، ورغم كل الرفاهية إلى أنهم يتصنعون الملل والدليل: "أنت مواطن (يوتوبوي) نوبتك الحياة المترفة وذوبك الملل وصرت لا تعرف الأمريكي من المصري من الإسرائيلي... لولا بقايا الشهوة في عروقك لما عرفت الذكر من الأنثى"⁽³⁶⁾.</p> <p>_ يتم حماية يوتوبيا بقوات أجنبية معظمهم من قوات المارينز المتقاعدة: "يمكن أن ترى معي عاملها... البابات العملاقة ... السلك</p>

³⁶ _ أحمد خالد توفيق، رواية يوتوبيا، ص 15.

³⁹ _ المرجع نفسه، ص 40.

<p>شيء، فعرضهم ودمهم مستباح، ولا يوجد قانون</p>	<p>المكهرب... دوريات... الحراسة التي تقوم بها</p>
<p>يحميهم، ولا يتم الاعتناء بهم أو رعايتهم بأي سبيل من السبل إلا إعطائهم بعض القروش التي تدفعهم إلى الاستمرار في خدمة سادة يوتوبيا.</p>	<p>شركة (سيفلوا التي يتكون أكثر العاملين فيها من ماينز) متقاعدین" (37). _ تجسدت في هذه الرواية مظاهر الخوف لدى شعب يوتوبيا من خسران ممتلكاتهم:</p>
<p>_ لقد عان شعب الأغيار من كل أنواع البطش والفقير والبطالة ويتقاتلون من أجل لقمة العيش، "خليط عجيب من الروائح والأصوات والمشاهد... الرائحة الأولى والرئيسية هي رائحة العرق، في هذه الرائحة ذابت روائح كثيرة من المأكولات والوحل والفضلات البشرية" (40).</p>	<p>"يوتوبيا... المستعمرة المنعزلة كونها الأثرياء على الساحل الشمالي ليحموا أنفسهم من بحر الفقر الغاضب بالخارج، والتي صارت تحوي كل شيء يملكونه" (38).</p>

إن فقد كانت هذه أهم مظاهر وتجليات الصراع الطبقي في رواية يوتوبيا.

رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق رواية شديدة الأثر والتأثير، مليئة بالمفاجآت وبالأحداث بأسلوب روائي مميز، وظف فيها الكاتب الخيال والحقيقة منذرا بمستقبل القوي يأكل الضعيف، ويهمش فيه الإنسان، وتتلاشى قيم الإنسانية والدين والوطن وتحمي أوامر المحبة وتفكك الأسر..... إذن هي رواية تستحق القراءة والدراسة والنقد.

³⁷ _ المرجع السابق، ص 20.

³⁸ _ المرجع نفسه، ص نفسها.

⁴⁰ _ المرجع نفسه، ص 49.

خاتمة

خاتمة:

إن أهم ما يمكن استخلاصه من تحليل الصراع الطبقي في رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق في النقاط التالية:

- إختلف مفهوم الصراع الطبقي باختلاف وجهات النظر عند الكتاب والنقاد وكل عرفه حسب منظوره.

- إرتبط مفهوم الصراع بالتنوع الطبقي في المجتمعات، فكل طبقة تؤثر في تشكيل الصراع لدى الإنسان.

- إتخذت رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق الصراع الطبقي موضوعاً لمنتها الروائي فصور واقع المجتمع المصري سنة 2023، حيث ينقسم إلى طبقتين.

- جاءت رواية يوتوبيا نموذجاً لدراسة الصراع الطبقي والذي جسده الشخصيات الرئيسية في الرواية.

- إن رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق رواية اجتماعية عبرت عن واقع وحياة ستؤول إليها حالة مصر في سنة 2023، للكاتب حكمته الخاصة ورؤيته المدهشة وصياغته الأدبية التي صورها في سلاسة عبر أحداث الرواية.

- رواية يوتوبيا استعرضت الكثير من الأحداث الهامة بين الطبقتين الغنية والفقيرة، وناقشت أهم القضايا الهامة منها: الفقر والظلم والفروق بين الطبقات ومدى تأثير ذلك في العلاقات الاجتماعية.

- نجاح أحمد خالد توفيق في الجمع بين أحداث الرواية من خلال حبكة درامية مميزة، حيث استطاع الانتقال بين عالمين متناقضين ومختلفين في الشخصيات والأحداث والتركيب الاجتماعية.

وفي الأخير يمكن القول أن رواية يوتوبيا ما هي إلا رواية اجتماعية تحمل الكثير من الإسقاطات نتيجة للواقع الحالي في مصر، فالغني والفقير كلاهما له حياته المختلفة.

كما نستنتج أيضا أن أحمد خالد توفيق كان سباقا لعصره، قريبا من الشباب ومعاناتهم، ف جاءت روايته كأنها قراءة للمستقبل القريب.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1_ المصادر:

_ أحمد خالد توفيق، رواية يوتوبيا، دار ميريث القاهرة، 2008.

2_ المراجع:

_ جورج لوكاتش، نظرية الرواية وتطورها، تر نزيه الشوقي، 1987.

_ حلومة التيجاني، البنية السردية في قصة النبي ابراهيم عليه السلام، دراسة تحليلية سمائية في الخطاب الروائي، ط1، دار مجد لاوي للنشر والتوزيع، 2013-2014، عمان، الأردن، 2013. 2014.

_ رينيه وليك أستن وأرن، نظرية الأدب، د.ط، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1912-1992.

_ روبيرت إسكارييت، سوسولوجيا الأدب، آمال عرموني، بيروت، دار عويدات، ط2، 1983.

_ سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ.

_ شعبان عبد الحكيم محمد، الرواية العربية الجديدة، دراسات في آليات السرد وقراءة نصية، ط1، دار الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2014.

_ شكري عزيز الماضي، في نظرية الأدب، ط1، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر، لبنان، بيروت، 1993.

_ صلاح فضل، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1980.

_ عبد المجيد الحسيب، الرواية العربية الجديدة وإشكالية اللغة، إربد الأردن، 2014.

_ عبد الملك مرتاض، في نظرية الأدب، بحث في تقنيات السرد، د.ط، صدرت السلسلة في شعبان 1988، بإشراف العدوانى، 1923-1990.

_ فيصل الدراج، الواقع والمثال مساهمة في علاقات الأدب والسياسة، ط1، دار الفكر الجديد، بيروت، 1989.

_ محمد كامل الخطيب، الرواية والواقع، دار الحداثة، ط1، 1981.

الكتب المترجمة:

_ أنتوني غدنز، علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)، بمساعدة كارين بيرسال، تر: د.فايز الصباغ، ط4، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005.

_ بيارلاروك، الطبقات الاجتماعية، تر: جوزف عبود كبد، ط1، بيروت، باريس، 1973.

المجلات:

_ أحمد الجرطي، الرواية العربية والمتخيل، البنية الفنية للناقدة يمنى العيد (نحو رؤية جديدة لسياق التكون وآفاق الممارسة النقدية)، مجلة تبيين، العدد 14، خريف 2015.

_ زيات فيصل، مختار ديدوش، نظرية الصراع من منطق كارل ماركس إلى منطق رالف داهرنودوف، مجلة دراسات في علوم الإنسان والمجتمع، جامعة جيجل، مجلد 02، عدد1 مارس 2019.

_ حلاب نور الهدى، المنهج الاجتماعي في النقد نشأته وخصائصه، مجلة مركز دراسات الكوفة، جامعة العقيد أكلي محند أولحاج، الجزائر، 2015.

الرسائل الجامعية:

_ عنتر صلاح، الصراع التنظيمي في المؤسسة الإستشفائية، (رسالة دكتوراه)، إدارة الموارد البشرية، قسم علم الإجتماع، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، 2017-2018.

فهرس المحتويات

فهرس الموضوعات

1.....	مقدمة
6.....	مدخل
22.....	الفصل الأول: البعد الواقعي والإجتماعي لفن الرواية
23.....	1_ الأدب كتجربة واقعية
23.....	أ_ الأدب كمؤسسة إجتماعية
25.....	ب_ نظرية الإنعكاس
28.....	ج_ المنهج الإجتماعي
29.....	2_ الرواية كإيديولوجية
30.....	أ_ الرواية كإيديولوجية
33.....	ب_ علاقة الرواية بالإيديولوجيا
35.....	3_ علاقة الرواية بالواقع الإجتماعي
39.....	الفصل الثاني: تجليات الصراع الطبقي في رواية يوتوبيا
40.....	نبذة عن مؤلف الرواية
41.....	1_ محتوى الرواية
43.....	2_ آليات تحليل الرواية
44.....	أ_ العنوان
45.....	ب_ الموضوع
45.....	ج_ أحداث الرواية
50.....	د_ الشخصيات

هـ_ البعد الإيديولوجي للشخصيات.....52

و_ الإطار المكاني والزمني للرواية.....57

3_ تجليات ومظاهر الصراع الطبقي في رواية يوتوبيا.....59

أ_ صراع الأفكار والشخصيات في رواية يوتوبيا.....61

المخلص:

هدفت الدراسة لتسليط الضوء على قضية الصراع الطبقي في رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق، نجيب كذلك على بعض التساؤلات في هذا المجال: ما مدى ارتباط الصراع الطبقي بالواقع الإنساني؟ وهل يمكن اعتبار الرواية تنبأ للواقع؟ ولتحقيق ذلك قمنا بدراسة اجتماعية من أجل محاولة فهم المجتمع وتعقب حركته ومعالجة القضايا الاجتماعية باعتباره معاكسة للمجتمع وكون الفكر الاجتماعي هو الذي يطغي على تاريخ البشرية، فالرواية تحمل في طياتها مختلف القضايا والنزاعات الاجتماعية.

ف نجد الرواية تسعى لتصوير الصراع والكشف حقيقته في المجتمعات الإنسانية، فعلاقة المجتمع العربي بالأدب إشكالية تستوجب الدراسة المعمقة كما تحمل الروايات في ثناياها مواضيع الإنسانية التي ترصد الظلم والقصر والضياع والتعبير عنه بطريقة موحية ومعبرة.

الكلمات المفتاحية:

المنهج الاجتماعي، الصراع الطبقي، رواية يوتوبيا - أحمد خالد توفيق.